للناشئين والشباب

روائع الأدب العالمى ٤

فى كبسولة

عرض وتبسيط : مختار السويفى

- رجل لكل العصور
- الشيخان
- أوبرا سالومى
- نداء البرارى
- ثلاثة رجال فى قارب
- ترويض الشرسة
- العاصفة
- عطيل



مكتبة الدار العربية للكتاب

هذا الكتاب ...

فى هذا الجزء الرابع من «روائع الأدب العالمى فى كبسولة » يتحفنا الأستاذ الكبير مختار السويفى بأعمال أدبية لأدباء عالميين جدد وهم :

- روبرت بولت . .
- طه حسين . .
- أوسكار وايلد . .
- جاك لندن . .
- جيروم ك . جيروم . .
- وليم شيكسبير .

ويتميز هذا الجزء باحتوائه على النص الأوبرالى لمسرحية «سالومى» التى كتبها أوسكار وايلد باعتباره لوناً جديداً من ألوان الصياغة الأدبية . كما قدم دراسة مبسطة لحياة وأعمال المؤلف الموسيقى العظيم «ريتشارد شتراوس» الذى قام بوضع الألحان الموسيقية والغنائية لهذه الأوبرا الشهيرة .

« الناشر »



روائع الأدب العالمى ٤

فى كبسولة

للناشئين والشباب

٤

روائع الأدب العالمى

فى كبسولة

عرض وتبسيط : مختار السويفى

■ رجل لكل العصور
■ الشيخان
■ أوبرا سالومى
■ نداء البرارى
■ ثلاثة رجال فى قارب
■ ترويض الشرسة
■ العاصفة
■ عطيل

الناشر

مكتبة الدار العربية للكتاب

مكتبة الدار العربية للكتاب

16 شارع عبد الخالق ثروت . تليفون : 3910250

فاكس : 3909618 ص.ب 2022 . القاهرة

WWW.almasriah.com

e - mail:info@almasriah.com

رقم الإيداع : 11034 / 1995

الترقيم الدولي : 0 - 72 - 5366 - 977

جمع وطبع : عربية للطباعة والنشر

العنوان : 7 - 10 شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043

الطبعة الثالثة : شوال 1425هـ - ديسمبر 2004 م

الطبعة الرابعة : جماد أول 1428هـ - يونيو 2007 م

إهـــداء ...

إلى حبيبة الروح ..

زهرة الشباب النقية الطاهرة ..

صاحبة البسمة الوضيئة ..

والطباع النبيلة الطيبة ..

ابنتى هالة ..

رحمها الله وأكرم مثواها ..

مقدمة

كان الاستقبال الحسن الذى حظيت به هذه السلسلة من « روائع الأدب العالمى فى كبسولة » بأجزائها الثلاثة السابقة ، حافزاً لى على إصدار هذا الجزء الرابع متضمنا مجموعةأخرى من الأعمال الأدبية التى حازت شهرة عالميةعريضة لدى عشاق الأدب فى مختلف أنحاء العالم .

وفى تلك الأجزاء السابقة حرصت على أن أقدم لقرائى الأعزاء من الناشئين والشباب أعمالاً أدبية أبدعها فطاحل الأدباء والمؤلفين العالميين مثل : جول فيرن . . وروبرت لويس ستيفنسون . . وجون شتاينبك . . وتشارلس ديكنز . . ووليم بلاى . . وهـ . ج . ويلز . . ومارك توين . . وجين أوستن . . وألكسندر دوماس . . ودانييل ديفو . . وليزلى ليفيت . . وبرناردين دى سان بيير . . ووليم شيكسبير . . ومؤلف فرعونى مجهول .

وفى هذا الجزء الرابع حرصت على أن أضيف إلى تلك القائمة من الأدباء العالميين أدباء ومؤلفين آخرين اشتهرت أعمالهم عالمياً مثل : روبرت بولت . . وطه حسين . . وأوسكار وايلد . . وجاك لندن . . وجيروم ك . جيروم بالاضافة إلى وليم شيكسبير .

ويتميز هذا الجزء باتجاهين جديدين :

فقد حرصت أولا على أن أضمِّنه عرضاً وتبسيطا لكتاب « الشيخان » لعميد الأدب العربى استاذنا الكبير الدكتور طه حسىن باعتباره عملاً أدبياً

كان مقرراً على طلبة الثانوية العامة فى مصر . ويتضمن هذا الكتاب عرضاً تاريخياً مصاغاً صياغة أدبية راقية تعتبر إحدى دُرَرِ الأدب العربى ، تناول فيه أديبنا العظيم قصة حياة اثنين من الخلفاء الراشدين وهما : «أبو بكر الصدِّيق» و «عمر بن الخطّاب» باعتبارهما من أعظم رجال الحكم فى صدر الإسلام ، وأنصع نموذجين مثاليين لأعظم الرجال على مر العصور .

وانطلاقا من هذا المعنى حرصت أيضاً على أن أقدم عرضاً وتبسيطاً لمسرحية «رجل لكل العصور» التى كتبها الأديب الانجليزى «روبرت بولت» ليحكى لنا فيها قصة حياة أحد عظماء الانجليز ، وهو «سير توماس مور» الذى كان متبحراً فى دراسة القانون ودراسة الدين ، ومتمسكاً بتقديس العدالة والنظام والاحتكام إلى الضمير النقى اليقظ السليم ، ومضحياً بحياته حتى لا ينطق بغير الحق أو بما يخالف أحكام الدين ، فاستحق بذلك أن يوصف بأنه «رجل لكل العصور» وهو الوصف الذى اتخذه المؤلف عنوانا لتلك المسرحية .

أما الاتجاه الجديد الثانى الذى يتميز به هذا الجزء من «روائع الأدب العالمى فى كبسولة» فكان انطلاقا من تأثرى بحديث شريف يقول فيه رسول الله ﷺ : «من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة» . ويتضمن هذا الحديث الشريف إشارة إلى مأساة النبى يحيى بن زكريا [يوحنا المعمدان] الذى بشر بظهور المسيح عليه السلام ، والذى أمرت بقتله امرأة داعرة اسمها «سالومى» طلبت من الملك «هيرود» أن يقدم إليها رأس هذا النبى الكريم فى طبق من الفضة .

هذه المأساة الشهيرة كانت موضوعاً لعمل أدبى مسرحى أبدعه الكاتب الإنجليزى الشهير «أوسكار وايلد» فى مسررحية تحمل اسم «سالومى» .. وكنت موشكا على أن أقدم عرضاً وتبسيطاً لتلك المسرحة ، ولكن آثرت أن أقدم النص الأوبرالى للمسرحية كمنهج جديد فى سلسلة «روائع الأدب العالمى فى كبسولة» أقدم فيه للقراء الأعزاء لونا جديداً من ألوان الصياغة الأدبية متمثلا فى النص الأوبرالى لهذه المسرحية الشهيرة .

والأوبرا هى أرقى درجات فن المسرح الغنائى .. وهى عبارة عن مرحية مكتوبة شعراً ومصحوبة بالموسيقى الرفيعة التى تعمق التعبير الدرامى، وتصور الجو التأثيرى العام لأحداث المسرحية ، ويكون الحوار فيها ملحناً فى غنائيات ينشدها المغنون أو المغنيات إنشاداً فرديا أو ثنائياً أو جماعياً .

وعشمى كبير فى أن يحظى هذا الاتجاهان الجديدان اللذان ضمَّنتهما فى هذا الجزء الرابع من سلسلة «روائع الأدب العالمى فى كبسولة» إعجاب القراء الكرام ، وهو الهدف الذى أسعى إليه بخدمة قرائى وأضعه فوق كل اعتبار .

والله وراء كل قصد نبيل .

مختار السويفى

كورنيش النيل - القاهرة
فى أول أكتوبر ١٩٩٥

روبـرت بـولت

رجل لكل العصور

A MAN FOR ALL SEASONS
BY : ROBERT BOLT

الفصل الأول

وقعت أحداث هذه القصة فى انجلترا خلال النصف الأول من القرن السادس عشر.. وهى تحكى لنا جانبا من حياة « سير توماس مور » .. وهو رجل عظيم يتمتع بقدر كبير من العلم والذكاء وقوة الشخصية والتمسك بمبادىء الدين القويم والعدالة والقانون والنظام .. ولذلك فلم يكن يتصرف أو يقول رأياً إلا طبقا لما يمليه عليه ضميره ، ولم يحد عما يعتقده من صوب ، حتى ولو أدى ذلك إلى الإطاحة برأسه بعد أن حكم عليه بالموت..

● فى بيته :

كان يعيش حياة هانئة هادئة مع زوجته « أليس » وابنته الجميلة المثقفة «مارجيت» وزوجها « روبر » وهو شاب طموح ومثقف وينتمى إلى عائلة محترمة تعمل بالمحاماة ، ولكنه كان يعلن رأيه بصراحة فى كنيسة روما ويتهم رجالها بالضلال ، الأمر الذى كان يغضب « سير توماس مور » إلى حد كبير .

وكان يتردد على البيت بعض المعارف والأصدقاء المقربين منهم «دوق نورفولك » الذى كان صديقاً حميماً لأهل البيت جميعاً ، ومنهم أيضاً رجل

انتهازى اسمه « رتش » يتردد على البيت ليطلب وساطة « سير توماس مور » لكى يتم تعيينه فى وظيفة محترمة تشبع طموحاته وأطماعه .

ولأن « سير توماس مور » كان يعرف خبايا نفس هذا الرجل ، فقد سأله عمن علمه فن المراوغة فى الحديث والتمسك بالخصلة السيئة التى تقول أن الغاية تبرر الوسيلة ، واعترف « رتش » بأنه تعلم مبادىء السياسة الماكيافيللية على يد «كروم ويل » الذى يشغل منصباً رفيعاً بالقصر الملكى ، وهى سياسة تقوم على المكر والخداع والوصول إلى الغرض المطلوب ولوبالتآمر أواختلاق الأكاذيب أو التجرد من الأخلاق الحميدة .

● الكأس الفضية:

عرض « سيرتوماس مور » على « رتش » أن يتوسط له لدى عميد كلية سان بول ليعينه فى وظيفة مدرس ، وهى وظيفة تعطيه الحق فى مسكن مجانى وخادم خاص بالاضافة إلى مرتب قدره خمسون جنيها سنويا ، وهو مبلغ معقول فى ذلك الزمن . . إلا أن « رتش »لم يقتنع بتلك الوظيفة التى لا تحقق له أطماعه وتطلعاته .

وأراد « سير توماس »أن يساعده بقدرما يستطيع ، فأهداه كأساً فضية مصنوعة فى إيطاليا ، وطلب منه أن يبيعها لعل ثمنها يوفى له ببعض احتياجاته . وقال « رتش »أنه سيشترى بثمنها بعض الملابس الفخمة . . وقال « سير توماس »أن هذه الكأس الفضية أهدته إياها امرأة كانت لها قضيةينظرها ليحكم فيها . . وعندما علم أن تلك المرأة قدمت الكأس على سبيل الرشوة ، قرر على الفور أن يتخلص منها حتى لا يدنس بيته برشوة لا يقبلها . . ومع ذلك فقد قال « رتش » انه لا يهتم كثيراً بهذا الأمر ويقبل الحصول على تلك الكأس ، كما أبدى استعداده لتحمل وزرها .

وعندما خرج « رتش »من البيت قابل « اللورد نورفولك » الذى سأله عن تلك الكأس التى يحملها ، فأبلغه « رتش » بأنها هدية أعطاه إياها « سير توماس » .

● **المشكلة :**

كان « اللورد نورفولك » صديقاً حميماً لعائلة « سير توماس مور » بكل أفرادها . . ولذلك فقد رحب به الجميع عندما حضر . . وفى أثناء الحديث أبلغهم « نورفولك » بأن « كرومويل » الذى يسعى دائما إلى تقلد المناصب الرفيعة ، أصبح الآن سكرتيراً للكاردينال « وولسى » فاستاء الجميع لدى سماع ذلك الخبر ، على أساس أن « كرومويل » ابن بيطرى يعالج الحيوانات، ثم علقوا على ذلك بأن هذا الفرق لايهم لأن الكاردينال نفسه ابن جزار .

وفى أثناء تلك الجلسة العائليةتلقى « سير توماس مور » خطاباً من الكاردينال « وولسى » يطلب منه الحضور فوراً لأمر يتعلق بالملك هنرى الثامن ملك انجلترا . واندهش الجميع لاستدعاء « سير توماس » بصفة عاجلة فى هذا الوقت من الليل .

وفى اللقاء بين « سير توماس مور » والكاردينال « وولسى » الذى كان يشغل أيضا منصب كبير قضاة انجلترا ، أبلغه الكاردينال بأن الملك «هنرى» يريد ابنا ليرث عرش البلاد من بعده ، بينما زوجته الملكة « كاترين » عاقر لا تلد ، ولذلك فإن الملك يريد أن يطلقها ليتزوج من « الليدى آن » . وطلب الكاردينال من « سير توماس » أن يسانده بابداء رأيه فى هذا الموضوع .

قال « سير توماس » انه يصلى يومياً ويطلب من الله أن يرزق الملك بوريث للعرش . ولكن الكاردينال قال أن هذا الموضوع فى غاية الخطورة

والأهمية ، لأن الملك إذا مات دون أن ينجب وريثاً للعرش فسوف تتعرض البلاد إلى حروب أهلية .

ولكن « سير توماس » تمسك بموقفه ونصح الكاردينال بأن يستشير بابا روما فى هذا الموضوع ، وقال فى النهاية إن رجال الدولة إذا تخلوا عن ضمائرهم من أجل تحقيق رغبات خاصة أو واجبات عامة فإنهم يقودون البلاد إلى الفوضى والضلال .

وقد صدق حدس « سير توماس » فيما بعد ، إذ يبدو أن الكاردينال رفض طلب الملك باعتباره مخالفاً للدين وللقواعد التى قررتها الكنيسة الكاثوليكية فى روما .. ونفهم من الأحداث التى وقعت فى الأيام التالية أن الكاردنيال « وولسى » قد مات فى التاسع والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٣٠ بعد أن أصيب بالتهاب رئوى حين كان فى طريقه إلى سجن برج لندن متهماً بالخيانة العظمى .

وصدر أمر الملك بتعيين « سير توماس مور » كبيراً لقضاة انجلترا .

● الملك فى بيت سير توماس :

قرر الملك « هنرى » أن يزور « سير توماس مور » فى بيته ليستميله إلى جانبه حتى يوافق - باعتباره كبير القضاة - على طلاق الملكة « كاترين » والزواج من « الليدى آن » .

ولكن قبل حضور الملك إلى البيت ، قام « السنيور شوبيز » سفير إسبانيا بزياة « سير توماس » وأبلغه بأن الملك « تشارلس » ملك إسبانيا سيعتبر طلاق عمته الملكة « كاترين » إهانة شخصية له وإهانة لكل إسبانيا .. فاستمع « سير توماس » إلى ما قاله السفير دون أن يبدى أى رأى فى هذا الموضوع .


قطب

وبعد انصراف السفير وصل الملك إلى بيت « سير توماس مور » . . وأبدى الملك اعجابه بالابنة « مارجريت » وأثنى على ما تتمتع به من العلم والثقافة والقدرة على التحدث باللغة اللاتينية وحبها للموسيقى . . ثم أخذ الملك يتملق « سير توماس » ويثنى عليه . . وقال الملك أن الكاردينال «وولسى » يستحق ما جرى له ، وانه كان يتطلع إلى منصب البابويةوكان يخطط لكى يصبح بابا روما .

وأعلن الملك غضبه من وجود كرادلة تابعين للكنيسة الكاثوليكية بروما يتحكمون فى أمور تخص انجلترا وحدها . . كما أعلن فى غضب أشد أن واجبه الملكى نحو العرش يفرض عليه أن يطلق الملكة « كاترين » والزواج من غيرها ليتمكن من إنجاب وريث للعرش . . وانه قرر أن يفعل ذلك بكل إصرار ، وأن باباوات روما كلهم بدءاً من سان بيترو لن يقفوا حائلا ضد رغبته ، ولن يمنعوه عن أداء واجبه نحو عرش انجلترا .

واختتم الملك حديثه بسؤال « سير توماس مور » عن رأيه فى هذا الموضوع . . وأجاب « سير توماس » بدبلوماسية قائلا :

ـ أرجو أن يطمئن صاحب الجلالة إلى انى لن أحيد عن الصواب أبداً . . وفى استطاعتكم يا مولاى أن تخرج خنجرك من غمده ، وتبتر به ذراعى اليمنى من عند كتفى لو كان لديكم شك يا مولاى فى أنى سأوافق على رأى لا يمليه على ضميرى !

● التآمر ضده :

انصرف الملك دون أن يحصل على موافقة صريحة من « سيرتوماس » . . ولم يعد هناك حل سوى أن يطلب الملك من بعض اتباعه تدبير أية وسيلة للتخلص من « سير توماس مور » وعزله من منصب كبير قضاة

انجلترا. واستعان الملك بكرومويل بعد أن عينه فى منصب رفيع فى القصر الملكى ، لتحقيق هذا الهدف .

وبالنظر إلى أواصر الصداقة التى كانت تربط بين « كرومويل »وتلميذه «رتش » فقد أمر « كرومويل » بتعيينه جابياً للضرائب فى أسقفية يورك ، وهو منصب يدر عليه كثيراً من المال . وبذلك فقد أصبح « رتش »ألعوبة فى يد «كرومويل » . . وكان « رتش » مستعداً تماماً لخدمة سيده حتى لو خالف ضميره .

وتدارس الاثنان معاً فى كيفية التخلص من « سير توماس مور »لتحقيق رغبة الملك فى طلاق « كاترين » والزواج من « آن » . . وبمكر شديد قال «رتش » انه متأكد من أن « سير توماس » كان يحصل على الرشاوى أثناء توليه منصب القضاء . . وحكى « لكرومويل » حكاية الكأس الفضية التى أهداها له « سير توماس » بعد أن أخبره بأن هذه الكأس كانت رشوة أرسلتها إليه امرأة كانت لها قضية معروضة أمامه . .

وفرح « كرومويل » بهذا الخبر ، وطلب من « رتش » مزيداً من المعلومات عن هذا الموضوع .

الفصل الثانى

● أحداث جديدة وخطيرة :

نحن الآن فى منتصف شهر مايو سنة ١٥٣٢ .. أى بعد مرور نحو عامين على تلك الأحداث السابقة . وقد وقعت خلال تلك المدة أحداث جديدة وخطيرة .. فقد صدر قرار ملكى - بعد موافقة البرلمان - بانشاء الكنيسة الانجليزية مستقلة عن كنيسة روما . ويقول الاعلان عن هذا القرار إنه اتخذ بموافقة الجميع عدا قلة من التعساء تصدوا لهذا القرار فعرضوا أنفسهم إلى الدمار والتهلكة .

وفى قاعة الاستقبال ببيت « سير توماس مور » جلس رب البيت مع أعضاء عائلته وبعض أصدقائه يتداولون فى أمر هذه الأحداث الجديدة . وقال السفير الأسبانى « شوبيز » موجهاً كلامه إلى « سير توماس » :

- ماذا ستفعل يا سيدى أمام هذه الأحداث الخطيرة .. وماذا سيكون موقفك من الاجراءات الأخيرة التى اتخذها الملك هنرى ضد الملكة «كاترين»..؟

ولم يجب « سيرتوماس » بطريقة مباشرة على تلك الاسئلة .. وقال انه يفضل الانتظار حتى يعرف رد الفعل الذى سيتخذه أساقفة «كانتربرى» فى هذا الأمر . وهنا قال « روبر » زوج ابنته « مارجريت » .

ـ إن هذه الكنيسة الانجليزية تعتبر جناحاً من أجنحة القصر الملكى ، لأن الملك عين نفسه رئيسا أعلى لتلك الكنيسة .

وبينما كانوا يتناقشون فى هذا الأمر دخل اللورد « نورفولك » وأعلن خبراً سيئا . . فقد أذعن مجلس أساقفة « كانتربرى » لمطالب الملك هنرى كلها ، كما وافق على قرار انجلترا بقطع علاقاتها الرسمية والدينية مع روما .

وهنا أعلن « سير توماس مور » انه سيستقيل من منصبه فوراً . . وطلب من ابنته «مارجريت » أن تساعده فى خلع السلسلة المعلقة على صدره والتى تحمل شعار منصبه . .

وقال « نورفولك » أنه يعتقد أن الملك سيقبل هذه الاستقالة بكل سرور . . وقال « روبر » انه يحترم القرار الذى اتخذه « سيرتوماس »ويعتبره عملاً أخلاقيا عظيماً . .

الشخص الوحيد الذى لم يعجبه هذا القرار كان « أليس » زوجة « سير توماس مور » التى أخذت تؤنب زوج ابنتها على تأييده لقرار زوجها بالاستقالة من منصبه ، بل وقالت له : إنك بهذا التأييد ستدفع به إلى مقصلة برج لندن . . وكان من الواجب عليك أن تثنيه عن هذا القرار الذى سيلقينا فى هاوية الفقر وسنضطر إلى الاستغناء عن الخدم .

ولكن « سير توماس مور » أخذ يهدئها ويطمئنها إلى أنهم سيعيشون حياة هادئة . . لأنه لم يرتكب أى جرم . . وكل ما فعله هو الاستقالة من منصبه . . أما بخصوص حق الملك هنرى فى طلاق « كاترين » والزواج من « آن » فهو لم يعلن أى رأى صريح فى هذا الموضوع ، وليس هناك ما يؤاخذ عليه .

● **خيانة رتش :**

فى حديث دار بين « كروموبل » ولورد « نورفولك » قال اللورد :

ـ لقد التزم « سير توماس مور » بالصمت . . ولم يعلن أى رأى يمكننا أن نتخذه ذريعة ضده . . ولذلك يجب أن نتركه فى حاله .

ولكن « كروموبل » قال بخبث :

ـ إن هذا الصمت يؤدى إلى شهرته فى أوربا كلها . . وصمته هذا يعتبر دليلاً على ادانته بالجحود والمروق . . وأن جلالة الملك يريد منا أن نمتحنه لنختبر مدى ولائه للملك وللنظام الجديد .

وقال « كروموبل » أيضا أن لديه دليلاً قاطعاً على أن « سير توماس » كان يقبل الرشاوى أثناء توليه منصبه فى القضاء . . فقال لورد « نورفولك » على الفور انه لا يمكن أن يصدق هذا الاتهام ، فهو يعرف مدى تمسك «سير توماس» بالأخلاق والقانون .

ولكى يثبت « كروموبل » هذه التهمة ، قام باستدعاء « رتش » الذى حضر على الفور ومعه امرأة قال أن اسمها « كاترين أنجر » وهى تشهد بأنها أرسلت إلى « سير توماس مور » كأساً فضية مصنوعة فى ايطاليا وثمنها حوالى مائة شلن ، وذلك أثناء نظره فى دعوى أقامتها هذه السيدة أمام محكمة التظلمات . . وكان ذلك فى ابريل سنة ١٥٢٦ .

وهنا تساءل اللورد « نورفولك » عما إذا كان « سير توماس » قد قبل هذه الهدية التى ارسلتها تلك المرأة ، فقال « رتش » :

ـ نعم يا سيدى . . لقد قبل هذه الرشوة . . وأكبر دليل على ذلك انه أهدانى تلك الكأس الفضية وأبلغنى بأنها هدية قدمتها إليه إحدى المتقاضيات .

وعندئذ تذكر اللورد « نورفولك » تلك الليلة التى شاهد فيها « رتش » وهو يحمل الكأس الفضية خارجاً بها من بيت «سير توماس» . وتذكر أن تلك الليلة كانت فى السادس والعشرين من إبريل .. ومعنى ذلك أن «سيرتوماس» اعتبر هذه الكأس رشوة لا يقبلها ، وأراد أن يتخلص منها بأى شكل فأهداها إلى «رتش»:

ولم ييأس « كرومويل» من فشله فى هذا الاتهام .. وطلب من لورد «نورفولك» بعبارة صريحة أن يشترك معه فى اختلاق أية ذريعة لمحاكمة «سير توماس» بتهمة الخيانة العظمى.. فأعلن اللورد أنه لايوافق على الاشتراك معه فى هذا الموضوع .. ولكن « كروموبل » أخبره بأن هذا الموضوع أمر أصدره جلالة الملك وأن عليه أن يطيع أى أمر يصدره الملك !

● **بداية المعاناة :**

أصبح بيت « سير توماس مور » أكثر تواضعاً بعد أن انقطع راتبه، ودار نقاش بين «أليس» وزوجها ، أعلنت فيه دهشتها من رفض زوجها قبول مبلغ قدره أربعة آلاف من الجنيهات جمعه الأساقفة من أجل مساعدته فى محنته .. وقال «سير توماس» إن كرامته تأبى عليه أن يعيش على حسنات الآخرين مهما كان شأنهم .

وفى أثناء هذا النقاش الذى دار بين الزوجين ، وصل السفير الإسبانى «شوبيز» لزيارة « سير توماس» ، وأعلن أنه يحمل رسالة شخصية أرسلها إليه «الملك تشارلس» ملك اسبانيا .. ولكن «سير توماس» أعتذر للسفير بكل أدب بأنه لن يستلم هذه الرسالة أو يمسها بيديه .

وبعد انصراف السفير ، وصل اللورد «نورفولك» .. ودار حديث بينه وبين «سير توماس» » قال فيه اللورد انه يكن صداقة عميقة وصادقة للسير

توماس .. وأنه يعلم أن هناك مؤامرات تدبر الآن ضده ... وأبلغه انهم يدبرون اضطهاداً لجميع اصدقائه المقربين وجميع من لهم صلة به .. وفى النهاية نصحه اللورد مخلصاً بأن يستسلم لرغبات الملك وأن يساير الجو السائد الآن فى انجلترا .

وأجاب «سير توماس» بكل وضوح ، انه يأسف أشد الأسف لما قد يلحق بأصدقائه من أذى .. وأن موقفه ليس بدافع العناد أو الكبرياء ، وليس حقداً أو نزوة طارئة ، وانما هو التمسك بالحق طبقاً لما يمليه عليه ضميره .. ولذلك فانه لن يتراجع عن هذا الموقف حتى آخر لحظة فى حياته.

● التحقيق :

وفى أثناء إحدى الجلسات العائلية ، يدخل «روبر» ليعلن أن هناك رجلاً بالباب ، جاء من محكمة « هامبتون » ويقول ان «سير توماس» مطلوب للمثول الآن أمام «كروموبل» للتحقيق معه فى بعض الاتهامات .. وبطبيعة الحال ، فقد أصيب جميع أعضاء العائلة بالذعر عدا « سير توماس» الذى ظل متماسكاً وطلب من «روبر» أن يبلغ مندوب المحكمة أنه سيذهب فوراً للمثول أمام «كروموبل» .

وقبل أن يصل «سير توماس» إلى المحكمة دار حديث بين «كروموبل» و«رتش» الذى أصبح الآن سكرتيره الخاص والذى سيقوم بتدوين محضر التحقيق . وكان « رتش » يرفل فى ملابس جديدة فخمة تليق بالمنصب الذى وصل إليه . وقال « كروموبل » بصراحة إن الملك «هنرى» يريد من «سير توماس مور» أن يبارك زواجه من الملكة « آن » وإلا فمن الواجب اصدار الحكم بإعدامه .

وعندما مثل « سير توماس » أمام « كرومويل » بدأ التحقيق على الفور ، واستعمل « كروموبل » كل ما كان يتمتع به من خبث ودهاء فى توجيه الاسئلة ، قائلا أن هناك بعض الأمور الغامضة فى سلوك « سير توماس » وهو يريد منه توضيحاً لتلك الأمور ، خصوصاً وأن « الملك هنرى » مستاء منه تماماً وغير راض عليه، وأبدى « سير توماس » استعداده للاجابة على أى سؤال أو استيضاح .

وبدأ « كروموبل » تحقيقه بحكاية غريبة ، فقد سأله عن صلته بامرأة دجالة أطلقت على نفسها اسم « عذراء كنت الطاهرة » . . وكانت هذه المرأة قد أعدمت بعد أن أعلنت بعض التنبؤات عن سلوك الملك ومصيره . . فإذا كان « سير توماس » على صلة بتلك المرأة ، فلماذا لم يتصل بجلالة الملك « هنرى » ليحذره من تلك المرأة الشريرة . . ؟

قال « سير توماس » انه قابل تلك المرأة مرة واحدة . . وانه لم يتحدث معها فى السياسة بأى شكل من الأشكال . . وبالاضافة إلى ذلك فقد أرسل لها خطاباً يحذرها وينصحها فيه بألا تتدخل فى أى شأن من شئون الدولة . . ولحسن الحظ فانه يحتفظ فى بيته بنسخة طبق الأصل من هذا الخطاب .

ثم سأله « كروموبل » عن رأيه فى زواج الملك « هنرى » من الملكة « آن » . . فلزم« سير توماس » الصمت التام ولم ينطق بكلمة . . وعندئذ قال «كروموبل » أن جلالة الملك أمره بأن يوجه إليه تهمة الخيانة العظمى . . وأبلغه أن الملك قال بصريح العبارة : « ليس بين رعاياى من هو أكثر خيانة وسفالة من توماس مور » !

● فى السجن :

ألقى « بسير توماس مور » وحيداً فى غياهب السجن توطئة لمحاكمته

ومنعوا عنه قراءة الكتب . . وأجروا معه مزيداً من التحقيقات التى قام بها «كروموميل » و « لورد نورفولك » و « كرانمر » رئيس الاساقفة . . بل ومنعوه فى البداية من رؤية زوجته « أليس » وابنته « مارجريت » وزوجها « روبر » . . إلى أنى سمح لهم « لورد نورفولك » بزيارته لمرة واحدة ولدقائق معدودة .

وفى هذه الزيارة ، حاول جميع أفراد العائلة اغراءه بأن يرضخ لارادة الملك ولو بالقول فقط على أن يحتفظ بالرأى الذى يمليه عليه ضميره داخل نفسه ، وذلك حتى يخرج سالماً من هذه الورطة . . وبكلمات حزينة تهز المشاعر، أخذت ابنته « مارجريت » تصف له حياتهم بدونه . . وتصف له حال البيت بعد أن أصبح خالياً من وجوده .

كانت هذه الكلمات تهز مشاعر « سير توماس مور » ولكنه مع ذلك ظل متماسكاً وثابتاً على رأيه وموقفه . . بل وطلب من جميع العائلة أن يغادروا البلاد سراً وفوراً حتى لا يتعرضوا لأية متاعب لا يعلمها إلا الله . . وانتهت الزيارة بأوامر صارمة من السجان بعد أن انتهى الوقت المسموح به .

● محاكمة صورية :

انعقدت المحكمة فى قاعة « وستمنستر » بعضوية كل من « كروموميل » و« لورد نورفولك » و « كرانمر » بالاضافة إلى مجموعة المحلفين .

حاول « لورد نورفولك » أن يقنعه بالتراجع عن موقفه حتى يمكنه أن يحصل على عفو الملك . . ولكن دون جدوى . .

ثم قام « كروموميل » بقراءة عريضة الاتهام . . ووجه إليه تهمة الخيانة العظمى وعدم الرضوخ لأوامر الملك ، ورفضه الاعتراف بلقب الملك هنرى باعتباره الرئيس الأعلى للكنيسة الانجليزية .

ثم قام « رتش » بالقاء شهادة الزور التى لقّن بها .. وهنا فقط لاحظ «سير توماس» أن «رتش» يرتدى القلادة التى تدل على أنه تولى منصب المدعى العام لمقاطعة «ويلز» .. فقال له بكلمات تقطر أسى :

- إننى آسف لشهادتك الباطلة الكاذبة أكثر من أسفى على حياتى .. إن الإنسان لن يكسب شيئاً إذا باع روحه ولو بمقابل الدنيا كلها !

وفى نفس الجلسة قرر المحلفون أن المتهم مذنب/. وارتسمت ابتسامة التشفى على وجه «كرومويل» بينما كان «لورد نورفولك» يلقى نص الحكم بترحيل «سير توماس مور » إلى سجن برج لندن حيث ينفذ فيه الإعدام بفصل رأسه عن جسده !

● **النهاية :**

وكانت لحظة الإعدام لحظة مؤسية .. فقد حاول «لورد نورفولك» أن يعطيه كأساً من الخمر لعلها تخفف من آلامه فى اللحظات الأخيرة من حياته، ولكنه رفض أن يمسها .. وظلت ابنته «مارجريت» تصرخ باكية حتى كاد قلبها أن ينفطر حزناً داخل صدرها .

وبخطوات ثابتة صعد «سير توماس مور» إلى منصة الإعدام .. وبكلمات قليلة صادقة نفذ مهمتك .. فأنت تبعث بى إلى الله ..!!

وهكذا انتهت حياة «سير توماس مور» الذى أصبح رمزاً للإنسان الكامل المتمسك بالحق والضمير فى كل عصر وكل أوان.

أما إذا أردنا أن نعرف مصير بعض الشخصيات الرئيسية فى تلك القصة، فيمكننا أن نقول باختصار :

* كروموبل : أدين بتهمة الخيانة العظمى ، وتم إعدامه فى الثامن والعشرين من شهر يوليو عام ١٥٤٠ .

* نورفولك : أدين بتهمة الخيانة العظمى ، وكان من المتوقع اعدامه فى السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٥٤٧ لولا أن الملك مات قبل ذلك التاريخ بيوم واحد مريضاً بالزهرى الخبيث ولذلك فلم يتم التصديق على الحكم .

* كرانمر : أعدم بحرقه حياً فى الحادى والعشرين من شهر مارس عام ١٥٥٦.

* رتش : الخائن الناكر للجميل أصبح فارساً ، وعين مدعياً عاماً ، ثم منح لقب «بارون» ، وعين فى منصب كبير القضاة .. ومات وهو راقد على سريره !

الدكتور طه حسين

الشيخان
الصدِّيق أبو بكر والفاروق عمر

● تقديم :

كثيرةهى الكتابات التى تركها لنا الرواة والمؤرخون والكتاب الذين تناولوا قصة حياة كل من الشيخين الجليلين أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما . . كما تناولوا تاريخ الوقائع والأحداث التى حدثت فى عصر كل منهما عندما تولّى حكم المسلمين باعتباره خليفة رشيدا لرسول الله ﷺ .

هؤلاء الكتاب والمؤرخون من العرب والأجانب ، ومن القدماء والمحدثين ، سجلوا كل كبيرة وصغيرة فى حياة هذين الشيخين الجليلين ، ولم يتركوا شيئا فى تاريخهما العظيم الحافل بالأحداث الجسيمة التى عاصرت ظهور الإسلام وبدء انتشاره فى أرض الله ، إلا بعد أن شرحوه وأطنبوا فيه وفصلوه تفصيلا . . لدرجة قد يشعر معها أى كاتب أو مؤلف أو مؤرخ يريد أن يتناول تاريخ كل من هذين الشيخين ، أن ما سوف يكتبه أو يشرحه ، يعتبر إعادة لكلام قديم قيل منذ عشرات ومئات السنين ، ولم يعد هناك جديد يمكن أن يضاف إلى هذا الموضوع .

وكانت هذه الحقيقة واضحة تماما أمام أستاذنا القدير عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين عندما شرع فى تأليف كتابه هذا . . « الشيخان . . الصدِّيق أبو بكر والفاروق عمر » . . ولكنه آثر مع ذلك أن يكتب عن

الشيخين ويتحدث عنهما حديثا خاصا بهما مقصورا عليهما لعدة أسباب أهمها :

أنه كتب وتحدث عن الرسول ﷺ ، كما كتب وتحدث عن الخليفة الرشيد عثمان بن عفان والخليفة الرشيد على بن أبى طالب . . ويريد أن يتناول أيضا حياة الخليفتين الرشيدين : أبو بكر الصديق والفاروق عمر .

وأنه لا يريد بكتابه هذا أن يكرر الثناء على الشيخين وإن كانا يستحقان الثناء كله . . ولا يريد كذلك أن يعرض تفاصيل الأحداث التى وقعت فى عصريهما بنفس الطريقة التى رواها الرواة والمؤرخون القدماء ، والتى أخذها عنهم بعض الكتاب والمؤرخين المحدثين دون أن يبحثوا فى مدى دقتها وصحتها ، ودون أن يضعوها موضع التحليل ليبينوا للناس مدى صدقها أو كذبها .

وأنه ـ من أجل ذلك ـ يشك فى بعض ما رواه الرواة القدماء عن تلك الأحداث التى وقعت فى عصر كل من الشيخين الجليلين ، بل يؤكد أن بعض ما كتبه القدماء من تاريخ هذين الشيخين الإمامين ، هو أشبه بالقصص ، وليس تسجيلا صادقا لحقائق الأحداث التى كانت فى أيامهما .

ويلخص لنا الدكتور طه حسين منهجه فى هذا البحث فيقول : « أنا ـ إذن ـ لا أملى هذا الحديث لأثنى على الشيخين ، ولا لأفصّل تاريخ الفتوح فى عصرهما ، وإنما أريد إلى شىء آخر مخالف لهذا أشد الخلاف ، أريد أن أعرّف ، وأن أبيّن لقارىء هذا الحديث شخصية كلٍ من أبى بكر وعمر ـ رحمهما الله ـ كما يصورها ما نعرفه من سيرتهما ، وكما تصورها الأحداث التى

كانت فى عصرهما ، وكما يصورها هذا الطابع الذى طبعت به حياة المسلمين من بعدهما ، والذى كان له أعظم الأثر فيما خضعت له الأمة العربية من أطوار ، وما ظهر فيها من فتن » .

ويعقب الدكتور طه حسين على ما ذكره بعض الرواة القدماء من أن عمر بن الخطاب قال عن أبى بكر : « إنه أتعب من بعده » بقوله . . « إن عمر كان أشد من أبى بكر إتعاباً لمن جاء بعده . . فسيرة هذين الإمامين قد نهجت للمسلمين فى سياسة الحكم ، وفى إقامة أمور الناس على العدل ، والحرية ، والمساواة ، نهجا شق على الخلفاء والملوك من بعدهما أن يتبعوه . . وهذا النهج الذى نهجه الشيخان ، والذى قصَّر عنه بعدهما الخلفاء والملوك ، هو الذى أريد أن أعرّفه وأجلوه لقارىء هذا الحديث . . . » .

أبو بكر الصدّيق

● الصديق فى مواجهة الشدائد :

كانت أولى الشدائد التى واجهت أبا بكر الصديق تتمثل فى وفاة النبى ﷺ . . فقد كان بعض الناس يظنون أن الرسول عليه الصلاة والسلام سيعيش خالدا أبدا . . ولا يمكن أن يموت مثل سائر البشر ، ولم يمتثلوا أو يتذكروا قول الله عز وجل فى سورة آل عمران :

« وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » ولا قوله سبحانه وتعالى فى سورة الزمر : « إنك ميت وإنهم ميتون » .

وقد ترتبت على وفاة النبى ﷺ شدائد أخرى واجهت الصديق فى تلك اللحظات الحرجة . . فقد كان الأعراب ـ وهم من سكان البادية ـ قد أسلموا قولا ولم يسلموا فعلا ، ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم . . وما كادوا يسمعون بنبأ وفاة النبى ﷺ ، حتى انقلبوا على أعقابهم كما تقول الآية الكريمة ، وبدأوا يعلنون ارتدادهم عن الإسلام بمبادئه وأركانه الأساسية .

ويقول الدكتور طه حسين فى ذلك :

« . . وهنالك تكشفت قلوب المسلمين غير المؤمنين من العرب عن

دخائلها ، أى عن خفاياها ، فأظهروا ما أظهروا من الرِدّة ، وجعلوا يساومون فى الزكاة . وتقول وفودهم لأبى بكر : نقيم الصلاة ولا نؤدى الزكاة . . وكأن المال أحب إلى هؤلاء الأعراب من الدين ، وكانت نفوسهم تأبى عليهم أن يؤدوا ضريبة إلى رجل لا يوحى إليه ولا يأتيه خبر السماء ، مثل النبى ﷺ .

ومن الشدائد الأخرى التى ترتبت على وفاة النبى ﷺ : إن فريقاً من العرب قد أشهروا الرِدّة عن الإسلام لأنهم كانوا ينقمون على قريش ، باعتبارها القبيلة التى ظهرت فيها النبوة ، والتى اختارها الله وهيأ لها هذا القدر العظيم من السلطان والقوة والبأس .

لذلك فقط ظهر فى بعض قبائل العرب الأخرى بعض الكذابين من مدعى النبوة . . ففى ربيعة ـ وفى بنى حنيفة منهم بخاصة ـ أعلن مسليمة الكذاب نبوته فى اليمامة ، وجعل يهذى بكلام زعم أنه كان يوحى إليه . .

وفى اليمن ظهر كذاب آخر يدعى الأسود العنسى وأعلن نبوّته . . . وركبه شيطان السجع كما ركب مسليمة . . وظهر تنبؤ آخر فى بنى أسد ، فأعلن طليحة أنه نبى ، وجعل يهذى لقومه كما هذى صاحباه بالسجع ، يزعم أنه يتنزل عليه من السماء . . بل تنبأت إمرأة فى بنى تميم ـ وهى سجاح ـ كانت نازلة فى بنى تغلب ، فلما استأثر بها شيطان السجع ، أسرعت إلى قومها من تميم فأغوت منهم خلقا كثيرا . . . »

أما أكبر الشدائد التى واجهت أبا بكر فور توليه حكم المسلمين فقدجاءت من جانب العرب من غير المسلمين بالشام حين مكروا به وكادوا له وتأهبوا للغارة عليه .

وكان النبى ﷺ قد جهز ـ قبيل وفاته ـ جيشا لغزو الروم فى الشام ، وجعل على رأس هذا الجيش أسامة بن زيد بن حارثة . . ولكن النبى عليه الصلاة والسلام مرض ومات قبل قيام هذا الجيش بمهمته .

وهكذا أصبح أبو بكر فى حيرة من أمره . هل يرسل هذا الجيش للشام . . أم يرسله للقضاء على فتنة الردة عن الإسلام التى شاعت فى بعض أرجاء الجزيرة العربية . . ؟!

هذا مجمل للمحن والشدائد التى واجهت أبا بكر الصديق فى بداية عهده فى حكم المسلمين . . ونرى فيما بعد كيف تغلب الصديق عليها واحدة بعد أخرى .

● الصديق والبيعة بالخلافة :

اختلفت أحاديث وأقاويل الرواة حول من هو أحق وأجدر بخلافة رسول الله ﷺ . . هل هو على بن أبى طالب ، وهو إبن عم النبى وزوج ابنته وأبو سبطيه « حفيديه » الحسن والحسين . . أم هو أبو بكر الصدِّيق بكل صفاته الإسلامية العظيمة وعلاقته الحميمة بالنبى ﷺ ، وباعتباره أول من أسلم من الرجال ، وكان إسلامه صفواً خالصاً قوامه التصديق العميق والإيمان الخالص من كل شائبة ، والاطمئنان الصادق النسمح إلى كل مّا يحدّث به النبى ﷺ ، ثم إيثاره النبى على نفسه فى كل موطن . . وكل الصفات العظيمة الأخرى التى جعلته يستحق لقب الصدّيق ، بالإضافة إلى مصاحبته للنبى ﷺ فى هجرته إلى المدينة . . وكان الله مع رسوله ، ومع أبى بكر فى الغار ، أى أن أبابكر كان ثالث الثلاثة .

وقد ذهب الرواة فى أمر مبايعة أبى بكر مذاهب شتى ، واختلفت رواياتهم باختلاف مصالحهم وعصبياتهم .

فبمجرد إعلان خبر وفاة النبى ﷺ انقسم المسلمون شيعا . فالانصار اجتمعوا فى « سقيفة بنى ساعدة »وتشاوروا وأوشكوا على إعلان مبايعة سعد بن عبادة وهو من الخزرج كخليفة للرسول ﷺ . . لولا أن ذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب ومعهما أبوعبيدة بن الجراح ، وهم من المهاجرين كما هو معروف ،وجادلوهم فى الأمر . . وأقنعهم أبوبكر بأن المهاجرين من قريش هم أولى بالنبى وبالأمر من بعده .

وأعلن عمر وأبو عبيدة مبايعة أبى بكر . . فوافق الأنصار على هذه المبايعة لعلمهم بقدر أبى بكر ومنزلته فى الإسلام وعلاقته الحميمة برسول الله ﷺ .

وقد تمت هذه البيعة فى غيبةعلى بن أبى طالب الذى كان منشغلا فى بيت رسول الله ﷺ بعد إعلان وفاته وانتقاله إلى رحمة ربه . ولذلك قد اختلف الرواة القدماء أوما قيل عن هؤلاء الرواة . . فبعض الرواة انحازوا إلى جانب على وبعضهم الآخر انحاز إلى جانب أبى بكر . . وآخرون قالوا أن عليا بن أبى طالب قد تباطأ فى مبايعة أبى بكر ووافق عليها فى آخر الأمر .

غير أن الدكتور طه حسين يشك كثيرا فى معظم تلك الروايات التى حكاها الرواة ونقلها عنهم المؤرخون القدماء . . وقد فنّد تلك الروايات وبيّن أوجه الكذب أو التناقض التى تحفل بها تلك الروايات .

ويبرر الدكتور طه حسين شكه فيما تناقله الرواة والمؤرخون بقوله : « كانوا

يروون رواية من شهد اجتماع القوم ، وسمع ما كان فيه من الأحاديث والخطب ، ثم لم يكتف بالسماع ، وإنما سجل ماقيل حرفا حرفا ، بل سجل حركات القوم وإشاراتهم ، ولو استطاع لسجل نبرات الأصوات ، مع أن هذا الحوار وأمثاله لم يدوّن إلا بعد مضى وقت طويل بعد انقضاء عصر الخلفاء الراشدين ، وصدر من ملك بنى أمية ، ولم ينقل هذا الحوار وأمثاله إلى القصاصين والمؤرخين مكتوباً ، وإنما نقل إليهم مشافهة ، وصنعت فيه الذاكرة صنيعها ، وتعرض بعضه للنسيان وبعضه لتغيير اللفظ ، وصنعت فيه الأهواء السياسية صنيعها » .

ويبين لنا الدكتور طه حسين الفروق الواضحة بين مبايعة الناس للنبى ﷺ ومبايعتهم لخلفائه . . فقد كان النبى يوحى إليه ولم يكن يبايع عن نفسه وحدها . . وإنما كان يبايع عن الله الذى أرسله أولا ، وعن نفسه بعد ذلك . . أما بيعة الناس للخلفاء ، فهى عقد بينهم وبين هؤلاء الخلفاء ، لا يجوز لخليفة أن ينقضه ، ولا يجوز لأحد من الرعية أن ينقضه أيضا . .

ومعنى ذلك أن هناك التزامات متبادلة بين الخليفة والرعية . . وقد أشار أبو بكر الصديق إلى هذه الالتزامات فى خطبته التى ألقاها بعد بيعته وقال فيها : « إن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى . . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم . . . »

وواضح من ذلك أن البيعة تعتبر الركن الأساسى فى الخلافة . . ومن أجل هذا كره المسلمون فى صدر الإسلام أن تنتقل الخلافة من الآباء إلى الأبناء بالميراث على نحو ما كان أكاسرة الفرس يصنعون .

● **الصديق واقتداؤه بالرسول:**

« آثره النبى بحبه ، حتى كان أحبّ الرجال إليه ، وأحبّه المسلمون أيضا وآثروه . . ورأوا النبى يقدمه على غيره ، فقدموه على أنفسهم » .

وقد تعهد أبو بكر فى خطبته الأولى أمام الناس بعد بيعته ، أنه سيطيع الله ورسوله . ثم أخبرهم بأنه متبع وليس بمبتدع . . وسيبذل جهده ليفعل ما كان رسول الله ﷺ يفعله . . وسيترك كل ما كان الرسول يتركه ، وألا يدع من أمر رسول الله ﷺ شيئا إلا أنفذه . . مهماكانت الظروف والعواقب .

ولذلك فقد كان أول شىء صنعه بعد البيعة هو إرسال الجيش الذى أعده النبى بقيادة أسامه للذهاب إلى الشام . . وذلك تنفيذا لأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام . . بالرغم من أن الظروف الشديدة الحرجة التى حدثت بعد وفاة النبى كانت تقتضى بقاء هذا الجيش لمواجهة الاضطرابات التى حدثت بين المهاجرين والأنصار وسائر العرب وأهل البادية على وجه الخصوص . . وما تبع هذه الاضطرابات من امتناع الأعراب عن دفع الزكاة وارتدادهم عن الإسلام وظهور مدعى النبوة الكذابين بينهم .

ومن المبادىء والتقاليد العسكرية الإسلامية التى أرساها أبو بكر حين أمر بخروج جيش أسامه إلى الشام ، وصيته لقائد هذا الجيش بأن ينفذ أمر رسول الله ﷺ لا ينقص منه شيئا ، ونهاه ونهى من معه من الجند عن قتل النساء والأطفال والشيوخ ، والذين فرغوا أنفسهم لعبادة الله من القسس والرهبان ، وعن الفساد فى الأرض .

ثم تهيأ أبو بكر بعد ذلك لحروب المرتدين عن الإسلام فى سائر أرض الجزيرة العربية . . فجند الجند وعقد الألوية للقواد ، وكانوا أحد عشر قائدا ، توجه كل واحد منهم بجيشه وجنده إلى الطوائف والقبائل المرتدة عن الإسلام . . وهنا أيضا تتجلى عبقرية وحكمة أبى بكر كخليفة لرسول الله ﷺ فقد وضع المبادىء والأسس العسكرية التى قامت عليها حروب الردة . .

« أوصى أبو بكر قواده بأن يمضى كل واحد منهم إلى القبيلة التى وجه لقتالها . . فإذا بلغها دعاها إلى الإسلام ، والدخول فيما خرجت منه ، فإذا أجابت قبل منها ، وأعطاها مالها من الحق ، وأخذ منها ما عليها من الحق أيضا ، وإن أبت قاتلها فى غير هوادة ولا رفق ، حتى تفىء إلى الإسلام ، فإن فاءت فهى آمنة تأخذ حقها وتعطى ما عليها . . »

وهكذا ثبت أبو بكر ومعه المهاجرون والأنصار والتابعون لهم أمام محنة الردة . وأتاح الله لهم النصر كما أتاحه للنبى ﷺ فى وقت قصير . . وانهزم المرتدون شر هزيمة وعادواإلى الإسلام الصحيح .

وقد استشهد فى حروب الردة كثير من المسلمين المؤمنين . . ومع ذلك فقد انتصر المسلمون لانهم صدقوا الله عهدهم ، وأخلصوا له قلوبهم ونفوسهم وضمائرهم .

ويقول الدكتور طه حسين فى ذلك : « والذين يقرأون تفصيل حروب الردة ، وما كان لخيار المسلمين فيها من البلاء ، يملكهم الإعجاب بأولئك الأبطال الذين لم يرهبوا شيئا فى سبيل نصر الدين وإعزازه ، وإعادة الجزيرة العربية إلى الإسلام ، كما كانت قبل وفاة النبى ﷺ » .



● الصديق بين اللّين والشّدة :

أظهرت حروب الردة خصلتين متناقضتين أشد التناقض من خصال أبى بكر هما اللين والشدة . . فقدكان أبو بكر معروفاً منذ أسلم وحتى توليه الخلافة بلين الجانب ورقة القلب والرحمة للضعفاء . . ولعل أبرز دليل على ذلك هو مشورته للنبى ﷺ بشأن أسرى الحرب . . وكان عمر بن الخطاب قدأشار ونصح بضرورة قتل هؤلاء الأسرى جزاء على ما فعلوه بالمسلمين . . إلا أن أبابكر أشار بالعفو عنهم مقابل الفدية التى سيدفعونها نظير الإبقاء على حياتهم .

ولكنه حين ولى الخلافة ، ورأى ما كان من بعض العرب حين اتبع فريق منهم الكذابين ، وحين أنكر فريق آخر منهم الزكاة ، وحين تنكر أولئك وهؤلاء لمن كان فيهم من المسلمين فقتلوا منهم من قتلوا ، وفتنوا منهم من فتنوا « أى أضلوا » . . لما رأى أبو بكر هذا ، بلغت منه الحفيظة أقصاها ، فلم يكتف بمقاومة الردة ، وحمل العرب على أن لا يدخلوا فيما خرجوا منه ، بل أقسم : ليبلغن « أى يغالى » فى الثأر لمن قتل من المسلمين ، وأوصى قوّاده أن يتتبعوا ـ بعد النصر ـ أولئك الذين قتلوا المسلمين ، وأن يقتلوهم . ويجعلوهم لغيرهم نكالا ، أى عبرة . . . »

هكذا نرى أن أبابكر كان ليناً رحيماً فى موضع اللين والرحمة . كما كان شديداً ومغالياً فى الشدة حين تكون هذه الشدة أمراً واجباً . . ومن أمثلة مغالاته فى الشدة ما كان من أمر رجل من بنى سليم إسمه إياس بن عبد ياليل ويعرف بالفجاءة . . فقد جاء هذا الرجل إلى أبى بكر وأبلغه بأنه يريد

أن يخرج لمحاربة المرتدين فأعطاه أبو بكر ما طلبه من سلاح . . وما أن خرج هذا الرجل من المدينة حتى أظهر ما كان يضمره من غش وخداع ، حيث كون عصابة من أمثاله وأخذ يتعرض للناس ، المسلمين منهم والكفار المرتدين ، وكان يقتل الجميع ويستولى على أموالهم وممتلكاتهم وينشر الفساد فى الأرض .

وعندما علم أبوبكر بأمر هذا اللص قاطع الطريق ، أمر فريقا من الجند أن يذهبوا إلى هذا الشرير المفسد فى الأرض ، ليقتلوه أو يأسروه ويحضروه حيا . . وعندما عاد الجند ومعهم الفجاءة أسيراً . . أمر أبو بكر بأن توقد له نار ويحرق فيها . . وربما كان السبب فى هذه المغالاة فى الشدة راجعاً إلى أن خسة الفجاءة وخداعه وإجرامه وإفساده فى الأرض ، قد حدث فى وقت محنة حروب الردة وما كان فيها من اضطراب ، وما دعت إليه من الحزن والحسم فى مواجهة الكفار والمرتدين .

ولولا تلك الظروف لكان لأبى بكر مع هذا المجرم الاثيم شأن آخر ، هو تنفيذ ما جاء فى القرآن الكريم بسورة المائدة :

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »

ويقول الثقاة من الرواة : أن أبابكر ـ رحمه الله ـ قد ندم على تحريق الفجاءة ، وتحدث بندمه هذا إلى بعض من عاده « أى زاره » من أصحاب رسول الله فى مرضه الذى توفى فيه . . وأوضح دليل على ندمه ، سيرته فيمن

كان يؤتى به من الأسرى الذين حرضوا على الردة وألحوا فى التحريض ، وقادوا قبائلهم لحرب المسلمين ، فقد كان كلما أتى بأسير من هؤلاء عنّفه . ثم قبل منه التوبة ، وأطلقه . . . »

وبفضل هذه الموازنة بين الرفق فى موضع الرفق ، والعنف فى موطن العنف ، استطاع أبو بكر أن يقضى على الردة ، ويعيد الخارجين من العرب إلى الإسلام . . وقد قام بهذا كله فى العام الأول من خلافته ، وأن يشرع بعد ذلك للتفرغ إلى مهمة كبرى هى تحرير العرب فى الشام والعراق .

● الصديق وجهاده فى العراق والشام :

كانت الخطة أن يفتح المسلمون الشام أولا وقبل فتح العراق ، ولكن الظروف التى واجهت أبابكر جعلته يغير تلك الخطة . . فبعد أن انتصر جيش أبى بكر على المرتدين من بنى ربيعة فى البحرين ، إذا برجل إسمه المثنى بن حارثة الشيبانى كان قد حارب المرتدين وظل يطاردهم ويتتبعهم حتى اقتحم العراق . . وظن أنه قادر على فتح العراق وتخليصه من حكم الفرس . .

وجاء المثنى إلى المدينة حيث قابل أبابكر وزين له سهولة فتح العراق . . وأنبأه بأن العرب من قومه ـ بنى بكر ـ ومن غيرهم من العرب الآخرين منتشرون فى العراق ، وأن من اليسير أن يستجيبوا له ويعينوه فى محاربة الفرس .

ووافق أبوبكر على ما رآه المثنى بن حارثة الشيبانى ، وسمح له بأن يتقدم بجيش المسلمين إلى العراق . . ولكن الفرس كانوا قد استعدوا لهذا الأمر

وقاوموه مقاومة شديدة . . وعندئذ أمر أبو بكر بأن يرسل مددا إلى جيش المسلمين تحت قيادة خالد بن الوليد . . وهجم جيش المسلمين على الفرس فهزموهم شر هزيمة ، وأخرجوا جيش الفرس من العراق كله .

وبعد فتح العراق على هذا النحوأمر أبو بكر خالدا بن الوليد بأن يرحل بجيشه لنجدة جيش المسلمين فى الشام . . ولكن ما أن رحل خالد بجيشه، حتى انتهزت جيوش الفرس هذه الفرصة التى سنحت لهم ، وعادوا مرة أخرى إلى احتلال العراق . .

وفى تلك الفترة ، انتقل أبوبكر الصدّيق إلى جوار ربه قبل أن يشهد ما أتاح الله لجيوشه فى الشام من نصر مؤزر . وعندما تولى عمر بن الخطاب أمر الخلافة من بعده تم على يديه فتح الشام والانتصار على الروم ، كما تم على يديه أيضا استرداد العراق والانتصار على الفرس .

● الصديق : طرف من حياته فى المدينة ووفاته :

لم تستمر خلافة أبى بكر الصديق سوى سنتين وبضعةأشهر اختلف فى أعدادها الرواة القدماء . . وبالرغم من تلك الفترة القصيرةالتى قضاها أبوبكر فى حكم المسلمين . فقد حقق نجاحا وتوفيقا لم يحققه أى خليفة من خلفاء المسلمين فى مثل تلك الفترة القصيرة .

لقد رد الجزيرة العربية إلى الإسلام كما كانت فى أيام النبى ﷺ . . وفتح العراق وأخرجه من حكم الفرس . . « ولو مد الله له فى الحياة شهرا أو شهرين لمات مطمئنا إلى أن جيوشه فى الشام قد فلّت ـ هزمت ـ جيوش قيصر الروم » .

وقد يبدو لنا أن خلافة أبى بكر كلها كانت خلافة حرب . . فى الجزيرة العربية أولا ، ثم فى العراق والشام بعد ذلك . . إلا أن لأبى بكر أيضا سياسة داخلية فى حكم المسلمين . . وقد تمثلت هذه السياسة فى جملة واحدة قالها فى أول خطبة له بعد البيعة ، وهى قوله : « إنما أنا متبع ولست بمبتدع » . .

ومعنى ذلك أنه لم يكن له تجديد فى سياسته الداخلية ، وإنما ألزم نفسه بسيرة النبى ﷺ فى تدبير جيوش الحرب ، وفى إجراء الأحكام فى المدينة وفى سائر أنحاء الجزيرة العربية بعد أن أرجعها إلى الإسلام .

كان أبو بكر يباشر أمور الحكم بنفسه . واستعان بعمر بن الخطاب ليتولى أعمال القضاء بين الناس وتسوية منازعاتهم . .

وظل يسكن فى بيت متواضع منسوج من الشعر بمنطقة قرب المدينة ، وذلك لمدة ستة شهور بعد توليه الخلافة . . وكان يذهب إلى المدينة مبكرا كل يوم لينظر فى أمور الناس ، ويباشر شئون الحكم ، ويقيم الصلاة للناس . . وفى المساء كان يعود إلى بيته وأهله .

وقد هم بعد استخلافه أن يباشر تجارته ، كما كان يفعل أيام النبى عليه الصلاة والسلام . . ولكن أمور المسلمين ، وما كان من حرب العرب شغلته عن تجارته . . ففرض له المسلمون ما يقوته ويقوت أهله » .

ومن أَجَلِّ الاعمال التى قام بها أبو بكر بناء على مشورة عمر بن الخطاب، شروعه فى جمع القرآن ، حيث كلف زيدا بن ثابت الذى كان يكتب الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام فى المدينة بأن يتتبع القرآن فيجمعه . .

وقد أشار عمر على أبى بكر بجمع القرآن نظراً لأن كثيرين من حفظة القرآن من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام قد قتلوا فى حروب الردة ، ورأى عمر أن من الواجب جمع القرآن حتى لا يتعرض نص من نصوصه للضياع بقتل من يقتل من الصحابة حفظة القرآن الكريم .

وحين اعتراه مرض الموت أدى خدمة جليلة للإسلام والمسلمين وهى استخلافه عمر بن الخطاب .. ويرى الدكتور طه حسين أن هذا الاستخلاف هو فى حقيقة الأمر مجرد ترشيح لعمر لكى يخلفه فى حكم المسلمين .. « ولم يكن من شأن هذا الاستخلاف أن يلزم المسلمين ، لأن أمر الخلافة ليس إلى رجل ، وإن كان هذا الرجل أبابكر ، وإنما هو إلى جماعة المسلمين ، وإلى أولى الرأى منهم بخاصة ، وهم المهاجرون والأنصار فى ذلك العهد ، وإنما كان استخلاف أبى بكر ترشيحا لعمر ، ونصحا للمسلمين . وكان من حق المسلمين وأولى رأيهم أن يقبلوا هذا الترشيح أو يعرضوا عنه ، فإذا كان المسلمون قد قبلوا هذا الترشيح فإنما قبلوه لانهم كانوا يحبون أبا بكر ويثقون به ، ويطمئنون إلى نصحه للأمة وللإسلام ، وإلى حسن اختياره » .

وتوفى أبو بكر فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة ، وكان عمره ثلاثة وستين عاماً . وهو نفس العمر الذى مات فيه الرسول ﷺ .

وهكذا انفق أيام خلافته راضياً مرضياً ، كما عادت نفسه المطمئنة إلى ربها راضية مرضية ..

عمر الفاروق

● الفاروق عمر : إسلامه فتح جديد :

كان عمر بن الخطاب فتى قوياً من فتيان قريش . . وكان أبوه الخطاب بن نفيل قليل الحظ من الغنى والثراء ، ولكنه كان عظيم الحظ من القسوة وغلظة القلب وخشونة الطباع . . وقد ورث عمر عن أبيه هذه القسوة والغلظة والخشونة . . ومارس هذه الطباع السيئة ضد المسلمين الذين أسلموا قبل إسلامه ، فأوقع بهم كثيراً من الأذى وسوء المعاملة .

ويقول الرواة أن عمر خرج ذات يوم متقلداً سيفه معلناً غضبه ، وقاصداً قتل النبى محمد ﷺ . . ولكن رجلاً من بنى زهرة حذّره من ذلك . . فشك عمر فى أن هذا الرجل قد أسلم وآمن بالدين الجديد وترك دين آبائه وأجداده . . وما أن سأله عمر عن ذلك حتى أجابه الرجل بنبأ عجيب زلزل كيان عمر . . فقد أخبره الرجل بأن خَتَنَهُ [أى صهره زوج أخته] وكذلك أخته قد «صَبَوَا» [أى تركا دين آبائهما] وآمنا بدين الإسلام الذى يدعو إليه محمد عليه الصلاة والسلام .

انطلق عمر غاضباً إلى بيت أخته وزوجها ، وكان عندهما رجل من المسلمين هو خبّاب بن الأرت . . وكانوا جميعا يقرءون آيات من القرآن الكريم . . وعندما دخل عمر بيت أخته ، اختبأ خبّاب فى ركن من البيت

خوفاً من بطش عمر وغضبه . . وسأل عمر أخته عن تلك « الهينمة » [أى الصوت الخفى] التى سمعها . . فأجابته أخته بأنها كانت تتحدث مع زوجها . . ولكن عمر واجهها هى وزوجها بما سمعه وعرفه عن إسلامهما وإيمانهما بالدين الجديد . . وهنا قال له صهره : أن الحق غير ما أنت عليه يا عمر . . وعندئذ لم يملك زمام نفسه فأخذ يضرب زوج أخته ويبطش به بطشا شديداً .

وعندما تدخلت أخته لتحول بينه وبين زوجها ، صفعها عمر بلطمة قوية أدمت وجهها . . وهنا تجرأت أخته وقالت له : أن الحق غير ما أنت عليه يا عمر . . ورفعت صوتها بالشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . .

فوجىء عمر بهذا الموقف ، ورق قلبه عندما رأى الدم يسيل من وجه أخته . . فطلب منها أن تريه الصحيفة التى كانوا يقرءون فيها . . فقالت له الأخت أنها قرآن لا يمسه إلا المطهرون . . وطلبت منه أن يتطهر ويغتسل ويتوضأ أولاً قبل أن يمس تلك الصحيفة . . ففعل ما طلبته منه أخته .

وقرأ عمر فى تلك الصحيفة الآيات الأولى من سورة طه إلى قول الله عز وجل : ﴿ إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ﴾ .

ومست هذه الآيات البيّنات شغاف قلب عمر ، فقال : دلّونى على محمد . . وعندما سمع خبّاب قوله هذا ، خرج من مخبأه وقال : أبشر يا عمر . . فإنى أرجو أن يكون الله قد استجاب لدعوة النبى ﷺ حين قال : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين إليك : عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام . .

وتوجه عمر إلى دار الأرقم حيث كان النبى يجلس فيها مع بعض أصحابه . . فخرج إليه النبى ، وأخذ بمجامع ثوبه وجذبه جذباً عنيفاً . . وقال : اللهم هذا عمر بن الخطاب . . اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب . . فقال عمر : أشهد أنك رسول الله ، فأسلم .

ويقول الدكتور طه حسين إنه غير واثق فى هذه الرواية كل الثقة ، وإنما يراها مصورة لما كان القدماء وأصحاب النبى بخاصة يعرفون من أخلاق عمر قبل إسلامه .

ومن المعروف أن « عمرو بن هشام » ـ الذى سماه النبى والمسلمون أبا جهل ـ هو خال عمر بن الخطاب . . وكان من أشد أهل قريش بغضاً للنبى وللمسلمين . . وكذلك كان عمر بن الخطاب قبل إسلامه . . ولكنه حول شدته على المسلمين إلى شدة على المشركين بعد إسلامه .

وأعلن عمر إسلامه على قريش كلها فأوقعوا به الأذى وكادوا يبطشون به . . ولكنه ظل . . يجاهد قومه حتى يكفوا عن إيذائه وعن إيذاء المسلمين كافة . . واستطاع النبى ﷺ ومعه أصحابه أن يصلوا فى المسجد بعد أن كانوا يصلون خفية . . وبذلك كان من نتائج إسلام عمر أن أتاح للمسلمين أن يعلنوا دينهم أمام قريش وهم آمنون .

ويقول الرواة أن ابن مسعود قال : « كان إسلام عمر فتحاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة » . . لأنه فتح أمام المسلمين باب العلانية فى الدين ، وعندما هاجر كان أنصح أعوان النبى فى المدينة لله ورسوله والمسلمين ، وأغلظ أصحاب النبى على اليهود والمنافقين . . وكانت إمارته رحمة لأنه أتاح

للمسلمين ـ فى أثناء خلافته ـ لوناً من الحياة مازالت الأمم المتحضرة الآن فى الغرب مقصرة عن بلوغه . .

● الفاروق بين اللّين والشدّة :

تميز عمر بمزيج متوازن بين العنف والقسوة والرقة واللين . . وقد رأينا ما تحدث به الرواة من بطشه بأخته وزوجها حين علم بإسلامهما . . ثم رأينا عطفه ورقته حينى رأى الدم يسيل على وجه أخته . . بل رأينا أن هذه الرقة كانت من الأسباب التى أدت إلى ذهابه إلى مكان النبى حيث أسلم .

وقد ظل عمر على هذا الخلق الذى يأتلف من العنف العنيف والرقة البالغة بعد إسلامه . . ولكن الإسلام صفى مزاجه ، فلطف من عنفه وحال بينه وبين الإسراع إلى البطش ، كما كان يفعل قبل إسلامه ، وزاد من رقة قلبه ، فجعله يسرع إلى رحمة الضعيف والبر بالملهوف . . بل كانت رقة قلبه تبلغ به البكاء فى أكثر الأحيان .

أما بعد أن تولى عمر أمر الخلافة ، فقد صار مهيباً كأعظم ما تكون الهيبة ، رقيقاً كأشد ماتكون الرقة . . وقد وصف حكمه أثناء خلافته بأنه كان شدة فى غير عنف ، ولينا فى غير ضعف .

غير أن أهم ما تميز به عمر بعد إسلامه هو أنه كان يعنف بنفسه أشد العنف وأقساه . . ولم يرق لنفسه أو رحمها فى يوم من الأيام ، على كثرةرقته للناس ، ورحمته للضعفاء والمحتاجين .

وهذا الائتلاف بين العنف والرقة هو الذى دفع عمر إلى الصراحة التى لم تعرف لمثله من أصحاب النبى ﷺ . . فقد كان جريئاً حين يرى الرأى

ويعتقد أنه الحق . . ولا يتردد فى أن يعترض على النبى نفسه ، كما فعل عام الحديبية حين اعترض على صلح النبى مع قريش . .

وكان صريحاً وجريئاً حين تمسك بوجوب تحريم الخمر ، بالرغم مما عرف عنه قبل إسلامه من إقباله على شرب الخمر وتناولها . . ولكنه بعد إسلامه عرف أضرار الخمر وشرورها . ، فظل يتمنى أن تحرم الخمر فى الإسلام تحريماً قاطعاً . . إلى أن نزل الوحى على النبى ﷺ بالآيات البينات فى سورة المائدة والتى تقضى باعتبار الخمر رجساً من عمل الشيطان على المسلمين أن يجتنبوه ويبتعدوا عنه .

وبلغت صراحته وجرأته فى الحق أَوْجَها حين أشار على النبى - فى أعقاب غزوة بدر - بقتل الأسرى ، بينما أشار أبو بكر الصديق بالفداء فأخذ النبى ﷺ برأى أبى بكر . . ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل فى سورة الأنفال لومه للنبى والمسلمين فى قبول الفداء . . ولذلك فقد قال الرواة أن النبى ﷺ قال : « إن الحق على لسان عمر وفى قلبه » .

ولعل السبب فى إطلاق لقب « الفاروق » على عمر بن الخطاب هو قدرته الواضحة على التفريق ومعرفة الفرق بين الحق والباطل . .

ومن صراحته وجراءته أيضا - أيام خلافة أبى بكر الصديق - مراجعته لأبى بكر فى أمر خالد بن الوليد حين قتل مالك بن نويرة وتزوج امرأته وإلحاحه عليه فى ضرورة عزله من قيادة جيش المسلمين .

وبعد أن تولى عمر أمر الخلافة ، أصبح شديداً على نفسه كل الشدة بالنسبة لمال المسلمين . . فكان يحاسب نفسه أشد الحساب على ما يأخذه

من مال المسلمين لنفقته ونفقة أهله . . وبالرغم من أنه كان قادراً على أن يعيش عيشة السعة ، وعلى أن ييسر لأهله وبنيه حياة ليّنة . . إلا أنه كان يأكل أكل الفقراء . . ويلبس لباس الفقراء ، ويسير فى أمر نفسه سيرة الفقراء . . لقد كان رحمه الله يشدد على نفسه مخافة أن يستمتع بالحياة فينقص ذلك من حسناته عند الله .

● الفاروق والفتوح :

رأينا فيما سبق أن فتح العراق قد أوشك أن يتم فى عهد الخليفة الرشيد أبى بكر الصديق . . ولكن أبا بكر أمر خالداً بن الوليد بأن يتوجه بجيشه بعد الانتهاء من فتح العراق لنجدة جيش المسلمين الذى كان يحارب الروم بأرض الشام . . وكان من نتيجة ذلك أن عاد الفرس إلى العراق ونكّلوا ببقايا جيش المسلمين تنكيلاً شديداً . .

وعندما تولى عمر أمر الخلافة واجه بحزم جميع المشاكل التى كانت تعانيها جيوش المسلمين فى كل من العراق والشام . . أما بالنسبة إلى إعادة فتح العراق ، فقد أمر عمر بإعداد جيش عظيم ، وقرر أن يقود بنفسه هذا الجيش ، لولا أن أصحاب النبى ﷺ أشاروا عليه بألا يفعل ذلك ، وبأن يبقى فى المدينة ليتولى إمداد جيوش المسلمين بالعدة والعدد ، وألا يُعرِّض نفسه لأخطار الحرب ، لأنه إذا أصيب فإن ذلك سيفُت فى أعضاد المسلمين [أى سيضعفهم ويعجل بهزيمتهم] .

وأشار عليه صحابة رسول الله بأن يولى على جيش المسلمين المتوجه إلى العراق رجلاً من كبار الصحابة وأشدهم بأساً وأمضاهم فى الحرب ، وهو سعد بن أبى وقاص . .

وقد علمنا من قبل أن أبابكر الصديق قد منع الأعراب الذين كانوا قد ارتدوا عن الاسلام ثم عادوا إليه ، من الاشتراك فى جيوش المسلمين التى توجهت إلى العراق وإلى الشام . . وقد خالف عمر سياسة أبى بكر فى هذا الخصوص ، حيث سمح لمن كانوا قد ارتدوا عن الاسلام وعادوا إليه بأن يخرجوا مع جيوش المسلمين ليشاركوا فى الجهاد ، فأقبل هؤلاء مُسرعين ، وأقبلت جموع من اليمن واشتركت مع جيش المسلمين المتوجه إلى العراق فأبلوا بلاءً حسنا .

وخالف عمر سياسة أبى بكر أيضا فى أمر جيش المسلمين الذى يحارب فى أرض الشام . . فما أن نهض عمر بأعباء الخلافة حتى كتب إلى جيوش الشام ينعى إليهم أبا بكر [أى يخبرهم بموته] ، وينبئهم ببيعته [أى بتوليه أمر الخلافة] . . ويعزل خالداً بن الوليد عن إمارة الجيش ، ويجعل هذه الإمارة لأبى عبيدة . . ويأمره إذا فتح الله على المسلمين أن يوجه من جاء مع خالد من العراق إلى عراقهم ليكونوا سنداً لسعد بن أبى وقاص ومن معه من المسلمين .

ويقول الرواة أن كتاب عمر وصل إلى أبى عبيدة فى ليلة كان المسلمون يتهيأون فيها لحرب الروم فى صباح اليوم التالى . . لذلك فقد أخفى أبو عبيدة كتاب عمر حتى لا يثبّط همم المسلمين أو يفت فى عضد خالد بن الوليد الذى أعد للمعركة الحاسمة الفاصلة عدتها . . وهى معركة ـ أو وقعة ـ اليرموك التى انتصر فيها جيش المسلمين على جيش الروم ، وفتحت الطريق أمام المسلمين لفتح أرض الشام كلها .

وبعد أن تمكنت جيوش المسلمين تماماً من أرض العراق وأرض الشام واتسعت حدود الدولة هذا الاتساع الهائل قام عمر بتعيين الولاة فى كل إقليم من أقاليم الدولة ليتولوا أمر الحكم بين الناس . . وكان عمر شديد الخوف دائماً من سيرة هؤلاء الولاة . . ويخشى أن يجوروا أو أن يقصروا . . فكان يراقبهم أشد المراقبة . . ويرسل إليهم من قِبَله من يفحص أعمالهم ويتقصى أحوالهم .

وكان عمر يلقى الولاة فى موسم الحج من كل عام . . ويلقى معهم الحجيج [الحجاج] الذين جاءوا من كل فج عميق فى دولة المسلمين . . وكان يسأل الولاة عن الرعية كما يسأل الحجيج عن سيرة الولاة فيهم . . وذلك حتى يطمئن قلبه إلى أن الجميع فى دولة الاسلام يتمتعون بالعدل والأمن والمساواة .

ثم توالت الفتوح العظيمة فى عهد بن الخطاب حيث تمكنت جيوش المسلمين من فتح بلاد الفرس كلها بعد فتح العراق ، كما تمكنت أيضا من فتح كل أرض الشام ثم فتح مصر وفتح برقة وطرابلس . .

وقد يخيل إلى من يتصور ما أتيح للمسلمين من فتوح أيام عمر ، والانتصار المؤزر على الفرس والروم جميعاً ، أن عمر كان سعيداً بهذه الفتوح العظيمة ، وبما كان يتدفق عليه فى المدينة من أموال الخراج والجزية . . ولكن الشىء المحقق أن عمر لم يهنأ قط بهذه الفتوح .

كان الفتح يكلفه أن يدبر أمر الحرب فى الشرق والغرب . . وأن يدبر أمر الأرض التى تفتح شرقاً وغرباً ، وأمر الذين كانوا يعيشون فيها من المسلمين



والمعاهدين [من أهل الكتاب] . . وكان يضطر إلى الدقة فى اختيار العمال والولاة ، ومراقبتهم بعد ولايتهم أقسى المراقبة . . وكان المال الذى يرسل إليه يكلفه عناء أى عناء .

● الفاروق وتنظيم الدولة :

بعد أن تولى عمر أمر الخلافة ، عرضت له مشكلتان يسيرتان . . المشكلة الأولى منهما هى لقب الخليفة الذى أطلق عليه . . فقد كان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ ، ولذلك فقد أطلق بعض المسلمين على عمر لقب خليفة خليفة رسول الله . . غير أن عمر لم يستسغ هذا اللقب الأخير لأن معنى ذلك أن الخليفة الذى سيأتى بعده سيطلق عليه لقب خليفة خليفة خليفة رسول الله . . وهكذا . .

إلى أن قال قائل من المسلمين : نحن المؤمنون وعمر أميرنا . . وهكذا أصبح عمر بن الخطاب أول من دُعى أمير المؤمنين . . ويقول الدكتور طه حسين عن هذا اللقب العظيم : « ما أكثر الذين دعوا بعد عمر بهذا الإسم، فاستحقه أقلهم ، وحمله سائرهم غصباً له واستبداداً به دون أن يكون له أهلاً . . فإمرة المسلمين ليست شيئاً هيناً يستطيع كل من قام بأمر المسلمين أن يتلقب بها ، وإنما هى تصور الأعباء الثقال والعناء المتصل ، والجهدالذى ليس فوقه جهد فى إقرار العدل ، ورفع الظلم ، وإنصاف الضعفاء من الأقوياء ، وتحقيق المساواة بين الناس ، والعناية بأمر القريب والبعيد ، والرفق بالمسلمين ، وأهل الذمة [أى غير المسلمين] فى أوقات اليُسر والعُسر ، والقيام فيهم بالحزم كل الحزم . . وإنصاف الناس بعد هذا كله . . » .

أما المشكلة الثانية فهى مشكلة « التأريخ » . . فقد كانت الكتب والمراسلات تكتب مؤرخة بالشهور دون أن تؤرخ بالسنين ، لأن المسلمين لم يكونوا قد اتخذوا لأنفسهم تاريخاً . . وقرر عمر أن يتخذ من العام الذى هاجر فيه النبى ﷺ من مكة إلى المدينة كبداية للتاريخ الإسلامى .

أما المشاكل المالية التى واجهت عمر بعد خلافته فقد كانت كثيرة ، لعل أهمها مشكلة توزيع الأموال الكثيرة التى تدفقت على المدينة كغنائم حرب من البلاد التى تم فتحها فى عهده . . وكيفية صرف هذه الأموال فى صالح المسلمين . . وكيفية تقدير أنصبة الجنود الذين اشتركوا فى تلك الفتوح .

وكان الحل الصائب الذى أخذ به عمر فى تلك المشكلة ، هو إنشاء ديوان الجند . . وكان من شأن هذا الديوان تنظيم قسمة المال على الجنود . . ويغنى من احتاج من المسلمين ، ويدّخر فى بيت المال ما يكون عُدَّة للأحداث حين تحدث وللنوائب حين تنوب [أى حين تحدث المصائب أو الكوارث] .

وكان عمر يعطى الناس حقهم من بيت المال بنفسه . . وقرر حقاً للنساء والأرامل والأطفال . . وهذا النظام الفريد فى العطاء الذى فرضه عمر كان جديداً من جميع نواحيه . . ولم تعرفه أى أمه قديمة من الأمم التى سبقت العرب فى الحضارة . . بل ولم تعرفه بعض الدول الحديثة إلا فى زمن قريب ، حين أخذت هذه الدول بنظام التأمين الاجتماعى الذى تؤخذ نفقاته من الناس ليرد على الآخرين الذين يحتاجون إلى العون والمساعدة .

ومن الحقائق المسلّم بها أن المسلمين لم يعرفوا فى أى عصر من عصورهم

راعياً أرفق برعيته من عمر بن الخطاب . . فقد كان يهتم الاهتمام كله بتفقد أحوال الناس فى المدينة وما حولها . . ويقضى حاجات المحتاجين منهم . . كما كان يصدر الأوامر للولاة أن يفعلوا مثلما يفعل . . وكان يخاف كل الخوف أن يقصِّر الولاة والعمال فى تنفيذ أمره فى هذا الشأن .

ويقول الرواة : أن عمر كان أول من عَسَّ [أى طاف ليتفقد أحوال الناس] فى المدينة ليلاً . . كما كان حريصاً على أن يعرف أحوال المسلمين فى كافة البلاد التى وصلوا إليها . . فكان يراقب الولاة فى كافة تصرفاتهم . . بل كان يحصر أموال من يعينه من الولاة قبل الولاية وأثناء الولاية وبعدها حتى يعرف مازاد على تلك الأموال من زيادات .

وكان حريصاً على التحقيق فى شكاوى الرعية ، ويأمر عماله باتباع هذا النهج العادل فى التحقيق فى أية شكوى يقدمها أحد الناس . . وقد أمر جميع الولاة الذين عينهم لحكم أقاليم الدولة بألاّ يتخذوا لدور الإمارة [الحكم] أبواباً تمنع الناس من الدخول إليهم عند الضرورة . . بالإضافة إلى ما كان يرسله أو يبلغه لهؤلاء الولاة من أوامر تتعلق بسبل الحكم بين الناس بالعدل . . ويقول عمر فى ذلك : إنى لم أرسل عمالى ليضربوا الناس ولا ليظلموهم ، وإنما أرسلتهم ليعلّموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، ويقسموا بينهم فيئهم [أى حقهم فى مال المسلمين] ويقيموا أمرهم كله على العدل . .

وتجلت عبقرية عمر فى شئون الإدارة حين قرر تقسيم الدولة إلى أقاليم [أو أمصار بلغة عصره] . . فجعل دولته أمصاراً هى : الكوفة والبصرة والشام والجزيرة والموصل ومصر واليمن والبحرين . . وكان يرسل والياً على كل

مِصْرٍ من هذه الأمصار . . وقسم الأمصار الكبيرة إلى « كور » [أى إلى مدن] . فيكون أمر المِصْرِ وما فيه من كور إلى الوالى الذى أرسله . . ويكون من حق الوالى أن يعيّن عمالاً على الكور يقيمون الأحكام بين الناس ويجبون ما يفرض على أرضها من خراج ، وما يفرض على الذميين من جزية .

وأكبر الظن أن عمر قد أمر بتنظيم جباية خراج الأرض على مثل ما كان يجرى عليه فى عهد الفرس والروم قبل الفتح . . فكان عمال الكور يَجْبُون هذه الأموال ويرسلونها إلى ولاة الأمصار . . وكان ولاة الأمصار يعطون منها الناس أعطياتهم [أى أنصبتهم وحاجاتهم] ويرسلون ما بقى منها إلى عمر فى المدينة .

كذلك فقد وضع نظاماً لتقسيم المسئولية بين الولاة وعمال بيت المال . . فقد جعل إلى جانب كل والٍ رجلاً آخر يتولى بيت المال فى المِصْرِ [الإقليم] . . فكان الولاة يقيمون للناس صلاتهم ، ويعطونهم أعطياتهم ، ويدبرون لهم أمورهم . . . وكان العمال يقومون على بيت المال ، ويتلقون ما يجبى فى الكور ، ويعطون الوالى ما يؤدى منه إلى الناس أعطياتهم ، وما يحتاج إليه من نفقة ، ثم يردون إلى عمر ما بقى من المال ، وحساب ما أنفق منه . . وبهذه السياسة أصبح عمر عالماً بموارد الدولة ومصادرها .

وبالإضافة إلى هذا كله ، كان عمر يتقصى الحقائق من الولاة ومن الرعية فى مواسم الحج ـ كما أسلفنا ـ حيث كان يسأل الولاة عن أحوال الرعية ، كما كان يسأل الرعية عن ولاتهم .

وكان حريصا أشد الحرص وأقواه على إنصاف المغلوبين الذين لم يدخلوا فى الإسلام إنصافاً كاملاً . . يأخذ منهم الجزية والخراج [أى الإتاوة والضريبة]

بالقسط والمعروف ، وكان يلح على ولاته فى إنصافهم دائما ، مذكراً لهم بأنهم ذمة الله ورسوله : قد أعطاهم المسلمون عهداً أن يؤدوا إليهم العدل والحق كله ، وأن يحموهم من كل عاد عليهم إذا أدوا ما عليهم من حقوق .

ومن أعظم الخطوات التى خطاها عمر فى تنظيم الدولة ، إقامة السلطة القضائية فى الأمصار . . فكان يرسل القضاة إلى الأمصار ليجروا أحكام الله بين الناس ، غير متأثرين إلا بكتاب الله وسنة رسوله . . فإن لم يجدوا فى الكتاب ولا فى السنة نصاً ، اجتهدوا فى رأيهم ، وتحروا العدل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . . وكان عمر يختار القضاة ويخولهم سلطة مستقلة ولا يخضعون للولاة فى شيء ، وليس لأحد عليهم سلطان إلا سلطان الله عز وجل وما أوحى الله إلى نبيه من الكتاب وما ألهمه من السنن .

ولعل أبلغ الأدلة على عدل عمر وحرصه على المسلمين ما حدث منه فى «عام الرمادة » . . وقد وقع هذا العام فى السنة الثامنة عشرة من الهجرة ، حيث حدث جَدْبٌ شديد وانقطع الغيث [المطر] فاسودت الأرض حتى صارت كالرماد فسمى العام « عام الرمادة » . . وكان محنة شديدة وكارثة عظيمة ابتلى بها عمر وابتلى بها المسلمون.

وفى مواجهة تلك الكارثة ظهرت شخصية عمر واضحة ، وظهر حزمه ومضاؤه وصبره على الكوارث واحتماله للشدائد . . فاهتم بأمور المسلمين الذين تأثروا بآثار تلك الكارثة وما جرته عليهم من جوع وخراب . . وكان يقضى نهاره كله ومعظم ليله ، فى تفقد أحوال الناس والوفاء باحتياجاتهم بقدر ما يستطيع . . وكثيراً ما كان يخرج ومعه مولى له ، وهما يحملان الدقيق

والزيت ، فإن أحس جوعاً فى أهل بيت ، أعطاهم ما يصلحهم ، وربما صنع لهم طعامهم بنفسه . .

وفى مواجهة تلك الكارثة أيضا كتب عمر إلى جميع ولاة الأمصار الإسلامية يستحثهم على إرسال المعونات، ليحقق بذلك نوعاً من التكافل العادل بين جميع المسلمين . . ويقول الرواة أن والى مصر عمرو بن العاص قد رد على كتاب عمر يستمهله وينبئه بأنه سيرسل إليه عيرا [أى الإبل التى تحمل الطعام] أولها فى المدينة وآخرها فى مصر . . وكان يعنى بذلك أنه سيرسل إليه من الطعام ومن خيرات مصر شيئا كثيراً . .

وكلف عمر رجالاً يستقبلون ما يأتى من الطعام والمعونات التى يرسلها ولاة الأقاليم ، ويتوجهون فوراً إلى أهل البادية الذين كانوا يعانون من آثار الكارثة ، فينحرون [أى يذبحون] لهم الإبل ويعطونهم الدقيق ويكسونهم العباء [الثياب] . .

وكان عمر ينحر الجزر [أى الإبل] فى كل يوم ، ويرسل منادين ينادون فى الناس : أن من أراد الطعام فليحضر ليأخذ حاجته وحاجة أهله . . كما عيّن عمر رجالاً يقومون على إنضاج اللحم وعمل الثريد [الفتة] . . فكان يأكل من طعام عمر فى كل يوم ألوف كثيرة من الناس ، وآخرون كانوا يحملون منه ما يكفيهم ويكفى عيالهم .

وكان عمر لا يؤثر نفسه [أى لا يختص لنفسه] بشىء من الخير ، وإنما يأكل مع الناس ما يأكلون . . بل وحرَّم على نفسه أكل اللحم والسمن أو شرب اللبن . . وفرض على نفسه الزيت يأكله مع الخبز نهاراً وليلاً حتى

مرض وقرقرت بطنه ، فكان ينقر بطنه باصبعه ويقول : قرقر ما تقرقر ، فليس لك عندنا إلا الزيت حتى يحيا الناس .

و كما كان عمر شديداً على نفسه ـ فى عام الرمادة ـ فقد كان شديداً على أهل بيته فى الوقت نفسه . . ولم يسمح لأحد منهم بأن يوسع على نفسه فى طعام أو شراب والناس من حولهم جياع . . وكان شديد الغم والحزن لما أصاب الناس ، حتى كان أصحابه يخافون عليه وعلى حياته لشدة غمه واهتمامه بأمر المسلمين .

وكثيراً ما كان عمر يعظ الناس ويدعوهم إلى أن يتقوا الله ويصلحوا قلوبهم . . ويستغفروا ربهم ويتوبوا إليه . . لأن ما أصابتهم من المحل [أى الجدب] هو آية سخط الله . كما أمر عمر بإقامة صلاة الاستسقاء وأمر الولاة كلهم باقامة تلك الصلاة بخشوع طلباً لرحمة الله ومغفرته . . ويقول الرواة جميعا : ما هى إلا أيام حتى أرسل الله الغيث [أى المطر] .

وكان عمر قد أوقف جباية الزكاة فى عالم الرمادة . . فلما تمت إزالة آثار الكارثة ، أمر بجباية الزكاة مضاعفة من القادرين . . وكان يقول ما معناه : إذا عجز بيت المال عن إطعام الناس ، فيفرض على الأغنياء أن يقاسموا الفقراء ما يجدون من الطعام ، حتى لا يشبع فريق من المسلمين ويجوع فريق آخر .

ويقول الدكتور طه حسين فى تقدير حكم عمر وتقييمه : ما أعرف أن المسلمين رأوا خليفة أو ملكاً سار فيهم هذه السيرة ، أو سيرة تقاربها . . بل ما أعرف أن أمة من الأمم ـ قديمها وحديثها ـ رأت ملكا أو أميراً يسير فى الناس سيرة عمر فيمن عاصره من المسلمين والذميين على السواء .

● **الفاروق والتطبيق العملى لمبادىء الدين :**

حرص عمر على تعليم الناس أوجه الملاءمة بين الدين والدنيا . . وكان يرسل الوعاظ وبعضاً من صحابة النبى ﷺ إلى الأمصار لوعظ الناس وتعليمهم أمور الدين .

وابتكر عمر أشياء لم يكن للمسلمين بها عهد أيام النبى ولا أيام أبى بكر الصديق . . فأمر بإقامة صلاة التراويح بعد صلاة العشاء فى ليالى رمضان . . ونصح الرجال والنساء من المسلمين والمسلمات بإقامة هذه الصلاة .

واشتد عمر فى عقاب الذين يشربون الخمر . . وفرض حداً [أى عقابا] لم يكن معروفاً من قبله وهو جلد شارب الخمر ثمانين جلدة . . وأمر جميع الولاة بتنفيذ تلك العقوبة على من يشربون الخمر فى جميع الأمصار . . وأن يكون تنفيذ العقوبة أمام جمع من الشهود وعلانية . .

وقصة عمر مع ابنه عبد الرحمن تدل دلالة قاطعة على أن عمر كان حريصاً على إقامة هذا الحد وبهذه الكيفية على الجميع حتى ابنه . . وكان هذا الإبن فى مصر وشرب الخمر مع صاحب له . . ثم ندم الاثنان واعترفا بذنبهما أمام والى مصر عمرو بن العاص ، وطلبا منه أن يطهرهما بإقامة الحد عليهما . . وكره عمرو أن يقيم الحد على إبن أمير المؤمنين بمشهد من الناس فضربه فى صحن داره . . فلما بلغ ذلك إلى عمر ، كتب إلى عمرو يعنفه أشد التعنيف ويأمره بأن يرسل إليه ابنه على قَتَبٍ [أى على بعير صغير له سَنَام مثل القتب] ليكون السفر على هذا البعير أكثر مشقة . . فلما وصل الفتى إلى المدينة كان مريضاً ومتعباً من عناء السفر . . وعلى الفور أمر عمر بإقامة الحد

على إبنه أمام الناس . . بل وقام هو بجلد الفتى وضربه ضرباً مبرحاً [أى شديداً عنيفا] . . وحاول الفتى أن يستغيث به ويستعطفه فلم يلتفت إليه . . بل وقال له الفتى : إنك قاتلى . . فلم يعبأ بما قال وواصل الضرب . . وحين رأى إبنه مشرفاً على الموت لم يزد على أن قال له : إذا لقيت رسول الله ﷺ فانبئه أن أباك يقيم الحدود . .

وبالإضافة إلى فرض هذا الحد كعقوبة على شرب الخمر . . كان عمر يتتبع الذين يبيعون الخمر للناس فيعاقبهم أشد العقاب . . ويأمر باحراق بيوتهم ونفيهم خارج البلاد .

ومن أوضح التطبيقات العملية لمبادىء الدين التى حرص عليها عمر أثناء خلافته ، هو إنشاء نظام القضاء وتعميمه فى كافة الأمصار . . كما عمم أيضانظام المعلمين الذين كان يرسلهم إلى الأمصار ليقرئوا الناس القرآن ، ويعلموهم شرائع دينهم . .

وكان عمر إذا عرضت له مشكلة ، نظر فى كتاب الله أولا . . فإن وجد فيه حلاً أخذ به . . وإن لم يجد نظر فى سنة النبى ﷺ . . فإن لم يجد فيها حلاً فإنه يجتهد رأيه ويقضى بما فيه مصلحة للمسلمين . . وكان يستشير أصحاب النبى عسى أن يكون عند بعضهم حديث من سنة النبى . . أو عسى أن يشير عليه بعضهم برأى فيه الخير والنصح للمسلمين . . وكان يدقق فى الأحاديث المنسوبة إلى النبى للتأكد من ثبوتها وصحتها .

وهو أول من أخذ الدرة [وهى جلدة تستخدم فى الضرب] ليؤدب بها الناس إذا جاروا عن القصد قليلاً أو كثيراً . . وكان يمشى فى المدينة وأسواقها ليرى

كيف يبيع الناس وكيف يشترون ، فإن رأى من أحد شيئا يكرهه ضربه بالدرة..

وكان شديد الحرص على صيانة مال المسلمين : يصونه من نفسه أولاً ، فلا يأخذ منه إلا قوته وقوت أهله وكسوته . . حلة فى الشتاء وحلة فى الصيف . . ويصونه من عماله فيراقبهم فى إنفاق المال أشد المراقبة وأضيقها .

وإذا كان قد عرف بالعدل ، فإن هذا العدل ليس إلا مظهراً من مظاهر خوفه من الله .

● الفاروق : استشهاده :

وذات فجر . . بينما كان عمر يوشك أن يؤم المسلمين فى الصلاة بالمسجد . . إذا بغلام أعجمى يقال له فيروز ويكنى بأبى لؤلؤة . . كان قد تسلل إلى المسجد واختفى فى أحد أركانه . . فأخذ يطعن الفاروق عمر ثلاث طعنات قاتلة استشهد بسببها . . وقبل موته طلب منه المسلمون أن يختار لهم من يخلفه . . فعين لهم ستة رجال ليختاروا منهم واحداً . . وهم : على ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله . . وأمر هؤلاء الرجال بالاجتماع ليختاروا أحدهم لكى يخلفه بعد أن يبايعه المسلمون .

ومات عمر بن الخطاب مرضياً عنه من الله ورسوله وأجيال المسلمين ـ على تتابعها واختلافها ـ لا يختلفون في حبه والثناء عليه ، إلا ما كان من غلاة الشيعة . .

أوسكار وايلد

أوبرا سالومى

SALOME

BY : OSCAR WILDE

قبل القراءة :

كان من الممكن أن أقدم عرضاً وتبسيطاً لمسرحية « سالومى » التى كتبها الأديب الانجليزى الشهير «أوسكار وايلد » . . ولكنى آثرت أن أقدم النص الأوبرالى« ليبريتو » LIBRETTO المأخوذ عن تلك المسرحية ، وذلك كإضافة جديدة إلى سلسلة « روائع الأدب العالمى فى كبسولة » .

و«الليبريتو» أو « النص الأوبرالى » هو الصياغة الأدبية الشعرية لمسرحيات الأوبرا . والأوبرا ـ كما هو معروف ـ تعتبر من أرقى درجات فن المسرح الغنائى . . وهى ـ فى تعريفها البسيط ـ عبارة عن مسرحية مكتوبة شعراً ومصحوبة بالموسيقى الرفيعة التى تعمّق التعبير الدرامى ، وتصوِّر الجو التأثيرى العام الذى تتضمنه أحداث المسرحية .

وفى الأوبرا يتم تلحين الحوار فى شكل غنائى ينشده المغنون أو المغنيات إما فردياً أوثنائياً أوجماعياً .

ولأن الأوبرا تعتبر من الفنون الغنائية الرفعية والصعبة ، فلا يقدم على تلحينها ووضع موسيقاها المصاحبة للألحان أو التى تعزف فى مقدمات الفصول أو التى تصور الفواصل بين الأحداث ، إلا كبار المؤلفين الموسيقيين العالميين الذين بلغوا أرقى درجات فن التأليف الموسيقى ، مثل بيتهوفن

وموتسارت وفاجنر وفيردى وبيزيه وجلوك وريتشارد شتراوس [الذى وضع موسيقى وألحان أوبرا سالومى] .. وغيرهم من الموسيقيين العالميين الأفذاذ.

وقد حرصت على أن أقدم نبذة عن حياة وأعمال هذا المؤلف الموسيقى العظيم ضمن « المؤلفين الذين وذكرهم فى هذا الكتاب » .

أما الذى كتب النص الأوبرالى وصاغه شعراً فهو الشاعر الألمانى «هيدفيج لاخمان » HEDWIG LACHMANN ، معتمداً بصفة أساسية على نص مسرحية « سالومى » التى كتبها « أوسكار وايلد » - وهى مسرحية ذات فصل واحد - وقد كُتِبَ النص الأوبرالى الأصلى باللغة الألمانية ، ثم ترجم إلى اللغات الفرنسية والايطالية والانجليزية . ونقدم فيما يلى ترجمة لهذا النص إلى اللغة العربية نقلاً عن النص الانجليزى .

الشخصيات

هيرود : الملك

هيروديا س : الملكة

سالومى : إبنة هيروديا س

يوكانان : يوحنا المعمدان

نارابوث : الضابط

الوصيفة : احدى وصيفات الملكة

اليهودى الأول :

اليهودى الثانى :

اليهودى الثالث :

اليهودى الرابع :

اليهودى الخامس :

الناصرى الأول :

الناصرى الثانى :

الضيف :

العــــبد :

المنظر :

شرفة أرضية واسعةبقصر « هيرود » . . الشرفة تطل على الحديقة حيث نشاهد الضابط « نارابوث » ومعه اثنين من الجنود يحرسون الزنزانة التى سجن فيها « يوحنا المعمدان » . . وتطل من الشرفة إحدى وصيفات الملكة « هيروديا س » . .

القمر يضىء المكان بنور فضى ساطع . . ونشعر أن الملك هيرود يحضر مأدبة العشاء بداخل القصر .

نارابوث : ما أجمل الأميرة سالومى هذه الليلة . .

الوصيفة : أنظر إلى القمر . .

كم هو غريب هذا القمر . .

نارابوث : إنه يبدو كوجه امرأة خرجت تواً من قبرها . .

أميرة صغيرة فى ثياب بيضاء كالثلج .

الوصيفة : إنه يتحرك ببطء . . كما لو شبحاً لامرأة ميتة . .

[نسمع أصوات جلبة عالية قادمة من داخل القصر حيث تقام مأدبة العشاء] .

الجندى الأول : ما هذا الضجيج وهذا الصخب ؟

من يا ترى هؤلاء الذين يزأرون كالحيوانات المتوحشة ؟ . .

الجندى الثانى : إنهم اليهود . . هم هكذا دائماً . .
يتشاجرون عندما يناقشون شئون دينهم . .
الجندى الأول : هذا سبب سخيف للنقاش والشجار . .
نارابوث : ما أجمل الأميرة سالومى . . هذه الليلة . .
الوصيفة : إنك دائما تنظر إليها . .
إنك تنظر إليها كثيراً . .
خطر عليك أن تنظر إلى الناس على هذا النحو . .
قد يؤدى ذلك إلى أشياء سيئة . .
نارابوث : إنها تبدو جميلة جداً . . هذه الليلة . .
الجندى الأول : [ينظر إلى داخل القصر] .
إن الملك يبدو مكتئباً . .
الجندى الثانى : نعم . . كم يبدو عليه الاكتئاب . .
الجندى الأول : ترى . . إلى من يوجه الملك نظراته . .
الجندى الثانى : لا أدرى . .
نارابوث : كم تبدو الأميرة شاحبة . .
لم أشاهدها شاحبة الوجه من قبل . .

إنها تبدو كظل زهرة من الثلج .

ينعكس على صفحة مرآة من الفضة . .

الوصيفة : لا يجب أن تنظر إلى الأميرة . .

إنك تنظر إليها كثيراً

قد يؤدى ذلك إلى أشياء سيئة . .

صوت يوحنا : [يأتى الصوت مجلجلاً من أعماق الزنزانة]

سيأتى من بعدى . . من هو أقوى منى . . !

أنا لا أستحق حتى أن أحل رباط حذائه . .

عندما سيأتى . . ستحل السعادة بالأماكن المهجورة . .

عندما سيأتى . . سترى عينا الأعمى نور النهار . .

عندما سيأتى . . ستُفتح أذنا الأصم الذى لم يسمع من قبل شيئاً . .

الجندى الثانى : أسكته . . أسكته عن الكلام . . !

الجندى الأول : إنه رجل مقدس . .

الجندى الثانى : إنه يقول أشياء غبية وغير مفهومة . .

الجندى الأول : ولكنه رجل طيب . .

إنه يشكرنى دائماً . .

عندما أقدم له الطعام فى كل يوم . .

أحد الضيوف الرومان : من هو هذا الرجل . . ؟!

الجندى الأول : إنه نبى !

الضيف : وما اسمه . . ؟

الجندى الأول : إسمه يوحنا . .

الضيف : ومن أين أتى . . ؟

الجندى الأول : لقد جاء من الصحراء . .

إن له أتباعاً كثيرين . .

الضيف : وعن أى شىء يتكلم . . وإلى ما يدعو . . ؟

الجندى الأول : من الصعب أن نفهم ما يقول . .

الضيف : هل يمكن أن أراه . . ؟

الجندى الأول : لا . . هذا مستحيل . .

هذا ممنوع بأمر الملك هيرود . .

نارابوث : [وكان ينظر إلى ما يدور داخل القصر]

ها هى الأميرة سالومى قد نهضت .

ها هي ذي تغادر مائدة الوليمة . .

إنها تبدو مضطربة . .

هي قادمة إلى هنا . . نحونا . .

الوصيفة : لاتنظر إليها . .

نارابوث : نعم . . هي قادمة نحونا . .

الوصيفة : أرجوك . . لا تنظر إليها . .

إنها تبدو كحمامة ضالة . . تاهت عن طريقها . .

[تدخل سالومي مضطربة فزعة] .

سالومي : لن أبقى معهم . . !

لا أستطيع أن أبقى معهم . .

لماذا ينظر إلى الملك هكذا طول الوقت . .

بعينيه المتلصصتين تحت حواجبه المرتعشة . .

إنه لأمر بذيء أن ينظر إليّ زوج أمي . .

لماذا ينظر إلى على هذا النحو الشائن . . ؟

إن الهواء منعش ها هنا . .

هنا أستطيع أن أتنفس . .

فى الداخل يتجادل اليهود ويمزقون بعضهم بعضا
بطقوسهم الغبية . .
ويجلس المصريون المهذبون فى صمت وأدب . .
ويجلس الرومان بوقاحتهم وطباعهم البربرية . .
ويتجادلون بلكنة فظة غير مألوفة . .

الوصيفة : [لنارابوث]
سوف تحدث أشياء مخيفة .
لماذا تنظر إليها بتلك النظرات الغريبة .

سالومى : كم هو جميل أن أرى القمر . .
إنه يبدو كزهرة فضية صغيرة . .
بوجه بارد . . ولكنه محتشم . .
وجه جميل مثل وجه عذراء . .
إنه يفيض بجمال عذرى . .

صوت يوحنا : أنظروا . . لقدجاء الرب . . إبن الإنسان قادم . .

سالومى : من ذا الذى صاح هكذا . . ؟

الجندى الثانى : إنه النبى . . أيتها الأميرة . .

سالومى : آه . . النبى . .

الذى يخاف منه الملك ويخشى بأسه . .

الجندى الثانى : لا نعلم عن ذلك شيئاً . . أيتها الأميرة . .

إنه النبى يوحنا . . ذلك الذى صاح . .

نارابوث : [لسالومى]

هل آمر باحضار محفتك . .

لتتمتعى بجمال الليل فى الحديقة ؟

سالومى : لقد تحدث هذا النبى عن أشياء مرعبة . .

تتناول سيرة أمى . . ألم يحدثكم عن ذلك . . ؟

الجندى الثانى : إننا لا نفهم ما يقوله . . أيتها الأميرة . .

سالومى : نعم . . لقد قال أشياء كثيرة عن أمى . .

العبد : [يدخل ويركع أمام الأميرة] .

أيتها الأميرة . . إن الملك يتوسل إليك أن تحضرى المأدبة . .

سالومى : لا . . لن أعود إلى المأدبة . .

[ينصرف العبد] .

سالومى : هل هذا النبى . . رجل عجوز . . ؟

الجندى الأول : لا يا أميرتى . . إنه شاب يافع . .

صوت يوحنا : إبتهجى يا أرض فلسطين . .

لقد انكسر صولجان من ظلمك ودنسك . .

ومن بيضة الثعبان سيخرج التنين . .

التنين المدمر . . المهلك النظرات . .

التنين الذى سيهلك جميع الطيور الجارحة . .

سالومى : ياله من صوت غريب . .

أريد أن أحادثه . .

الجندى الثانى : أيتها الأميرة . . لقد أمر الملك بمنع أى انسان من التحدث إليه . .

حتى كبير الكهنة منعناه من التحدث إليه . .

سالومى : ولكنى أريد أن أحادثه . .

الجندى الثانى : هذا مستحيل . . أيتها الأميرة . . هذا مستحيل . .

سالومى : أريد أن أحادثه . .

أحضروا هذا النبى إلىّ هنا . .

الجندى الثانى : لا نجسر على ذلك أبداً . . أيتها الأميرة .

سالومى : [تقترب من الزنزانة . . وتنظر إلى داخلها] .

ياله من ظلام أسود . .

من المرعب أن يعيش إنسان داخل هذا المكان . .

داخل هذا الكهف المظلم الأسود . .

إنه يبدو كالمقبرة . .

[تأمر الجنود بحزم ولهفة]

ألم تسمعونى . . ؟

أحضروا هذا النبى إلى هنا . .

أريد أن أراه . . !

الجندى الأول : أيتها الأميرة . . إننا لا نستطيع أن نلبى طلبك . .

سالومى : [تتجه إلى الضابط نارابوث فى دلال]

آه . . .

الوصيفة أوه . . ترى ماذا سوف يحدث . . ؟

إنى على يقين أن أشياء مخيفة سوف تحدث . .

سالومى : [تقترب من نارابوث وتحادثه بلطف]

أنت يا نارابوث ستلبى طلبى . .

ستصنع ذلك من أجلى . . أليس كذلك . .

كنت دائماً لطيفة معك . .

ستصنع ذلك من أجلى يا نارابوث . .

لاأرغب إلا فى أن ألقى نظرة . .

نظرة واحدة على هذاالنبى الغريب . .

لقد تحدث الرجال عنه كثيراً . .

إنى على يقين أن الملك يخافه ويخشى بأسه . .

نارابوث : لقد أصدر الملك أوامره الصارمة . .

بألاّ يرفع الغطاء عن هذه الزنزانة أبداً . .

سالومى : ولكنك ستصنع ذلك من أجلى يا نارابوث . .

وغداً . . عندما يحملنى العبيد فى محفتى . .

وعندما أمر على بوابة القصر . .

سألقى إليك بوردة صغيرة . .

وردة صغيرة خضراء . .

نارابوث : أيتها الأميرة . . لا أستطيع . . لا أستطيع . .

سالومى : ستصنع ذلك من أجلى يا نارابوث . .

أنت تعلم أنك ستصنع ذلك من أجلى . .

وغداً . . سأنظر إليك من خلال نقابى الحريرى . .

سأنظر إليك يا نارابوث . .

وربما سأبتسم لك أيضاً . .

أنظر إلىّ يا نارابوث . . أنظر إلى . .

أنت تعلم أنك ستلبى طلبى . .

تعلم ذلك جيداً . .

وأنا أعلم . . أنك ستصنع ذلك من أجلى . .

نارابوث : [يتجه إلى الجنود ويأمرهم] .

أخرجوا النبى . . أحضروا النبى إلى هنا . .

فالأميرة سالومى . . تريد أن تراه . . .

سالومى : آه . .

[يخرج النبى يوحنا من الزنزانة . . سالومى تنظر إليه برهبة . . وتتراجع إلى الخلف ببطء] .

يوحنا : أين هو . . ذلك الذى امتلأت كأس خطاياه . .

أين هو . . ذلك الذى سوف يأتى يوم يموت فيه . .

أمام كل الناس . .

إنى آمره بأن يحضر . . ويتقدم . .

لعله يسمع الصوت المنطلق عالياً فى البرية . .

وفى قصور الملوك . . أيضاً ينطلق . .

سالومى : عمّن يتحدث يا ترى . . ؟

نارابوث : لا ندرى أبداً . . أيتها الأميرة .

يوحنا : أين هى . . تلك التى استسلمت لغرائزها . .

وشهوات عينيها . . ؟

تلك التى تعلق صور الرجال على الجدران . .

وترسل الرسل إلى كاليديا . . ليأتوها بالشبان . .

سالومى : إنه يتحدث عن أمى . .

نارابوث : لا . . لا . . أيتها الأميرة . .

سالومى : نعم . . إنه يتحدث عن أمى . .

يوحنا : أين هى . . تلك التى امتلكها ضباط وقادة أشوريا . .

أين هى تلك التى أعطت نفسها للشبان المصريين . .

أصحاب البشرة السمراء . .

الذين يرفلون فى ثيابهم الكتانية المزينة بالياقوت . .

والذين يحملون دروعاً من ذهب . .

اذهبوا . . وانهضوها من سرير شهواتها . .

أنهضوها من سرير غرائزها ورزائلها . .

ربما تسمع كلمات الذي جاء ليمهد سبيل الرب . .

دعوها تتوب عن خطاياها . .

وإذا لم تتب . . فدعوها تحضر . .

إن الرب يحمل صولجانه فى يده . .

سالومى : إنه مخيف . . إنه مخيف جداً . .

نارابوث : لا تبقى هنا أيتها الأميرة . . أتوسل إليك أن تنصرفى . .

سالومى : عيناه مخيفتان . .

تبدو مثل الكهوف السوداء المظلمة . .

تكاد تنفث النار مثل التنين . .

عيناه مثل البحيرات السوداء . .

التى يخرج منها القمر . . بكل جمال القمر . .

ترى . . هل سيتحدث من جديد . . ؟

نارابوث : لا تبقى هنا أيتها الأميرة . .

أتوسل إليك . . لا تبقى هنا . .

أتوسل إليك . . أن تنصرفى . .

سالومى : يا له من رجل . . !

إنه مثل تمثال من العاج . .

إنى على يقين من أنه طاهر وعفيف . . مثل القمر . .

لابد أن لحمه بارد . .

بارد مثل العاج . .

أريد أن أقترب منه . .

نارابوث : لا . . لا أيتها الأميرة . .

سالومى : أريد أن أنظر إليه عن قرب . .

نارابوث : أيتها الأميرة . . أيتها الأميرة . .

يوحنا : من تلك المرأة التى تنظر إلىّ . . ؟

لا أريد نظراتها . .

لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟

بعينيها الذهبيتين وجفونها المكحلة بالذهب . .

إنى لا أعرف من هى . .

ولا أريد أن أعرف من تكون . .

دعوها تذهب بعيداً . . فلن أتحدث إليها . .

سالومى : أنا سالومى . . بنت هيروديياس . . ملكة اليهودية .

يوحنا : إرجعى يا ابنة بابيلون . .

لا تقتربى ممن اختاره الله . .

إن أمك قد ملأت الأرض بخمر شهواتها . .

وصوت خطاياهايصل إلى سمع الرب . .

سالومى تكلم يا يوحنا . . واصل حديثك . .

صوتك فى أذنى مثل أنغام الموسيقى . .

نارابوث : أيتها الأميرة . . أيتها الأميرة . . أيتهاالأميرة . .

سالومى : تكلم ثانية . . واصل حديثك يا يوحنا . .

وارشدنى إلى ماذا أفعل . .

يوحنا : يا ابنة سادوم . . لا تقتربى منى . .

وغطى بالنقاب وجهك . .

وانثرى القش على شعر رأسك . .

واذهبى إلى البرية . .

وابحثى هناك عن ابن الإنسان . .

سالومى : ومن هو ابن الإنسان هذا . . ؟

هل هو جميل مثلك يا يوحنا . . ؟

يوحنا : فلتذهبى . .

إنى أسمع الآن رفيف أجنحة ملاك الموت . .

ملاك الموت يرفرف فى هذا القصر . .

سالومى : يوحنا . .

نارابوث : أميرتى . . أتوسل إليك أن تنصرفى . .

فلتدخلى إلى القصر يا أميرتى . .

سالومى : [وقد وقعت فى العشق] .

يوحنا . . لقد عشقتك يا يوحنا . .

إن جسدك يبدو كزهور الزنبق . .

التى لم تحصدها بعد مناجل الحاصدين . .

إن جسدك يبدو كالثلج الأبيض . .

الذى يجلل قمم الجبال فى اليهودية . .

إن الزهور البيضاء التى تزين البساتين

فى قصور الملكات . .

لا تسمو إلى بياض جسدك . .

ولا يسمو إليه أيضاً ضياء الفجر . .

حين يسقط على أوراق الشجر . .

ولا يسمو إليه نور القمر . .

حين ينام على صدر المحيط . .

ليس هناك شىء فى هذا العالم . .

أكثر بياضاً من جسدك . .

دعنى ألمس جسدك . . !

يوحنا : إرجعى يا ابنة بابيلون . .

بسبب المرأة حلت الخطيئة فى هذاالعالم . .

لا تحدثينى . . فلن أستمع إليك . .

إنى لا أسمع سوى صوت الرب . .

سالومى : [بصوت أنثى متنمرة] .

إن جسدك شنيع شائن . .

إنه يبدو كجسد المجذوم المنبوذ . .

إنه يبدو كالجدار المدهون . .

تزحف عليه الثعابين الخبيثة . .

وتظهر فيه جحور العقارب . .

إنه مخيف . . إن جسدك مخيف . . !

[ثم بصوت ناعم يعبر عن مشاعرها المتناقضة]

إنه شعرك . . هو الذى أحبه يا يوحنا . .

هذا الشعر الذى يبدو كعناقيد العنب . .

كعناقيد العنب السوداء فى بساتين الكروم . .

إن شعرك مثل أشجار الأرز . .

أشجار الأرز الضخمة فى لبنان . .

حيث تختبىء الأسود . . ويختبىء اللصوص . .

فى الليالى الطويلة المظلمة . .

حين يختفى وجه القمر . .

وحين ترتعش النجوم خائفة . .

هذه الليالى . . ليست سوداء مثل شعرك . .

حتى صمت الغابات . .

لا شىء فى العالم يماثل سواد شعرك . .

دعنى أتحسسه . . دعنى ألمس شعرك . .

يوحنا : إرجعى يا ابنة سادوم . .

لا تلمسينى . .

لا تدنِّسى معبد الرب . . !

سالومى : [تتنمر ثانية] .

إن شعرك مخيف مرعب . .

إن شعرك مغطى بالوحل والتراب . .

إنه يبدو كتاج من الشوك فوق رأسك . .

إنه يبدو كضفيرة من الحيات حول عنقك . .

إنى لا أحب شعرك . . !

[ثم بصوت رقيق فيه إغراء] .

إنى أرغب فى هذا الفم يا يوحنا . .

فمك الذى يبدو كشريط قرمزى . .

حول قضيب من العاج . .

إنه يبدو كثمرة رمان قطعت بسكين من الفضة . .

حتى أزهار الرمان . .

ليست حمراء مثل شفتيك . .

حتى الأشرطة الحمراء التى تتدلى من النفير . .

الذى يعلن قدوم الملك . .

والذى يخيف الأعداء . .

ليست حمراء مثل شفتيك . .

ما أجمل فمك يايوحنا . . ما أجمل فمك . .

إنه أكثر احمراراً من قدم عاصر النبيذ . .

إنه أكثر احمراراً من مناقير الحمام . .

إنه يبدو كفرع المرجان يلمع فى مياه البحر . .

إنه يبدو كفصوص الياقوت فى المناجم . .

لا شىء فى هذا العالم . . أكثر احمراراً من فمك . .

دعنى أقبّل فمك . . يا يوحنا . .

دعنى أقبل فمك . . !

يوحنا : مستحيل يا ابنة بابيلون . .

مستحيل يا ابنة سودوم . . مستحيل . . !

سالومى : سأقبل فمك يا يوحنا . . سأقبل فمك . .

نارابوث : أيتها الأميرة . . أيتها الأميرة . .

[يائساً]

يا من تشبهين حديقة من أشجار الصمغ . .

ياأحلى من الحمام واليمام . .

لا تنظرى إلى هذا الرجل . .

إنى لا أستطيع أن احتمل . .

سالومى : [مستغرقة] .

سأقبل فمك يا يوحنا . . سأقبل فمك . . !

[الضابط نارابوث يطعن نفسه بسيفه ويسقط ميتاً بين سالومى ويوحنا] .

سالومى : دعنى أقبل فمك . . يا يوحنا . .

يوحنا : ألا تخشين الله . . يا ابنة هيروديا س . . ؟

سالومى : دعنى أقبل فمك . . يا يوحنا . .

يوحنا : يا ابنة الزنا . .

إذهبى إلى من يستطيع أن يخلصك . .

إذهبى . . وابحثى عنه . .

إنه فى مركب يتهادى على سطح بحر الجليل . .

إركعى على ركبتيك عند شاطىء الجليل . .

ونادى عليه . . ليحضر إليك . .

إسجدى عند قدميه . .

واطلبى منه أن يخلصك من كل الخطايا . .

سالومى : دعنى أقبل فمك . . يا يوحنا . .

يوحنا : ملعونة أنت . . يا ابنة المرأة الملعونة . . ملعونة أنت . .

سالومى : دعنى أقبل فمك يا يوحنا . .

يوحنا : لن أنظر إليك ياسالومى . .

أنت امرأة ملعونة . .

ملعونة أنت . . أنت ملعونة . .

[يتراجع يوحنا . . ويدخل إلى زنزانته . . ويدخل الملك هيرود والملكة هيروديا س . . ومعهم ضيوفهم إلى الشرفة الأرضيةالتى تطل على حديقة القصر حيث وقعت الأحداث السابقة] .

هيرود : أين سالومى . . أين الأميرة . . ؟

لماذا لم تعد إلى المأدبة كما أمرت . . ؟

آه . . ها هى سالومى . .

هيروديا س : لا تنظر إليها هكذا . .

إنك تنظر إليها كثيراً

كأنك لا تريد أن ترى سواها . .

هيرود : إن القمر يبدو غريباً هذه الليلة . .

أليس القمر غريباً . . ؟

إنه يبدو كوجه امرأة مجنونة . .

تبحث عن العشاق فى كل مكان . .

إنه يبدو كامرأة سكرى . .

تترنح بين كتل السحاب . .

هيروديا س : لا . . إن القمر يبدو كالقمر . .

هذا كل شىء . .

دعنا نعود إلى داخل القصر . .

هيرود : لا . . سأبقى هنا . .

يا عبيد يا خدم . .

أحضروا السجاجيد وافرشوها هنا . .

أضيئوا المشاعل . .

سأشرب المزيد من النبيذ مع ضيوفى . .

آه . . لقد تزحلقت . . لقد انزلقت قدمى . .

انزلقت فى الدم . .

هذا فأل سيىء .

من أين جاء هذا الدم إلى هنا . . ؟

ومن هو الرجل المقتول . . ؟

أنا لن أنظر إليه . .

الجندى الأول : إنه قائدنا يا سيدى . .

هيرود : نارابوث ؟! . . ولكنى لم آمر بقتله . .

الجندى الأول : لقد قتل نفسه يا سيدى . .

هيرود : إن هذا يبدو لى غريباً . .

إن الشاب السورى كان طيباً . .

ولكنى أذكر أنه كان ينظر إلى سالومى بشغف . .

أخرجوه من هنا . .

[الجنود يخرجون جثة نارابوث] .

إن المكان بارد هنا . .

يبدو أن الرياح تهب . . ؟

هل تهب الرياح هنا . . ؟

هيروديا س : [باستياء]

لا . . ليست هناك رياح تهب . .

هيرود : [فى حالة اضطراب وسكر بيّن] .

الآن لا اسمعها . . ولكن سمعتها فعلاً . .

إنها رياح كانت تهب . .

لقد انتهت الآن . .

ألم تسمعوها . . ألم تسمعوا رفيف الأجنحة . .

هيروديا س : إنك مريض . . دعنا ندخل إلى القصر . . !

هيرود : لست مريضاً . .

ولكن المريضة هى ابنتك . .

إنها شاحبة شحوب الموتى . .

لم أرها شاحبة هكذا من قبل . .

هيروديـاس : قلت لك . . لا تنظر إليها . .

هيرود : أحضروا لى النبيذ . .

[توضع أمامه أقداح النبيذ]

سالومى . . تعالى لتشربى معى . .

إن هذا النبيذ معتق جيد . .

القيصر نفسه أرسله إلىّ . .

ضعى الكأس بين شفتيك الصغيرتين الحمراوين . .

ثم دعينى أشرب من نفس الكأس . .

سالومى : لست عطشى . . أيها الملك !

هيرود : [لهيروديـاس] .

أسمعت كيف تجيبنى ابنتك هذه . . ؟

هيروديـاس : لقد أحسنت الرد . .

لماذا تحملق فيها هكذا . . ؟

هيرود : أحضروا إلىّ أنضر الفواكه . .

[توضع الفواكه أمامه] .

سالومى : تعالى لتأكلى معى . .

أحب أن أرى علامة أسنانك الصغيرة . .

بعد أن تقضمى الثمرة . .

اقضمى قطعة صغيرة من تلك الثمرة . .

ثم دعينى آكل باقيها . .

سالومى : لست جوعى . . أيها الملك . .

هيرود : [لهيروديا س]

أرأيت إنك لم تحسنى تربية ابنتك هذه . .

هيروديا س : أنا وابنتى من سلالة الملوك جئنا . .

أما أبوك فقد كان سائق جمال . .

كان أبوك لصا . . وقاطع طريق . .

هيرود : سالومى . . تعالى واجلسى بجانبى . .

سأعطيك التاج الذى تلبسه أمك . .

سالومى : لست متعبة . . ولا أريد أن أجلس . .

هيروديا س : أرأيت ماذا كان رأيها فيك . . ؟

هيرود : [حائراً] .



أحضروا لى . .

آه . . ما هى رغبتى يا ترى . . لقد نسيت . .

آه . . آه . . لقد تذكرت . .

صوت يوحنا : لقد حل الميعاد . . وآن الأوان . .

لقد جاء اليوم الذى أتحدث عنه . .

هيروديا س : دعه يسكت . .

إن هذا الرجل يشتمنى . .

هيرود : لم يقل شيئاً ضدك . . كما أنه نبى كبير . .

هيروديا س : إنى لا أومن بالأنبياء . .

ولكنك تخافه وتخشى بأسه . .

هيرود : أنا لا أخاف من أى إنسان . .

هيروديا س : إنك تخافه كما أقول . .

لماذا لا تسلمه لليهود . . ؟

إنهم يطلبونه منك منذ شهور . .

اليهودى الأول : هذا حق يا صاحب الجلالة . .

سلمه إلينا . . وضعه بين أيدينا . .

هيرود : كفى . . لن أسلمه إليكم . .

ولن أضعه بين أيديكم . . هكذا قلت . .

إنه الرجل الذى رأى الله . . !

اليهودى الأول : لا يمكن أن يكون هذا قد حدث . .

منذ عهد النبى إلياس . .

لم يشاهد أحد وجه الله . .

كان النبى إلياس آخر من رأى الله وجهاً لوجه . .

ولكن فى أيامنا هذه . .

فإن الله لا يتجلى لأحد . .

لقد أخفى الله نفسه . .

لذلك فسوف تقع الشرور وتحل الكوارث . .

ستحدث شرور كبيرة فى هذاالبلد . .

اليهودى الثانى : ليس من المؤكد أن النبى إلياس . .

قد رأى الله نفسه . .

ربما رأى ظله فقط . .

اليهودى الثالث : إن الله لا يخفى نفسه . .

إنه يظهر فى كل زمان . . وكل مكان . .

إن الله يظهر فى كل شىء . .

فى الأشياء الخيّرة . . وفى الأشياء الشريرة أيضاً . .

لا تجدف فى القول !

اليهودى الرابع : إنها نظرية خطيرة يقولون بها فى الاسكندرية . .

وينادى بها الإغريق أيضاً . .

[تتداخل أصوات اليهود . . ويدخلون فى جدال عقيم فيما بينهم] .

اليهودى الخامس : لا يستطيع أحد أن يحدثنا . .

كيف يؤدى الله أعماله . .

إنه يؤديها بطريقة سرية لا يعرفها أحد . .

إن رؤرسنا تعجز عن فهمه . .

إنه قوى جداً . .

الحق ما تقول . . أنت تقول الصواب . .

اليهودى الأول : نعم . . فإن الله مخيف ومرعب . .

ولكن هذا الرجل لم ير الله أبداً . .

منذ عهد النبى إلياس . .

لم يستطيع أحد أن يرى الله . .

كان إلياس آخر من رآه . . (إلخ) . .

اليهودى الثانى : حقا تقول . . فلا أحد يعرف . .

إن الله مخيف ومرعب . .

إنه يستطيع أن يحطم الرجل القوى إلى قطع صغيرة . .

ويتساوى عنده القوى والضعيف . .

اليهودى الثالث : إن الله لا يخفى نفسه أبداً . .

اليهودى الرابع : إنه يظهر فى كل شىء . .

لا تجدف فى القول هكذا . .

لا يستطيع أحد أن يخبرنا كيف يؤدى الله أعماله . .

لأن الله قوى جداً . .

إنه يحطم القوى كما يحطم الضعيف إلى قطع صغيرة . .

اليهودى الخامس : لا أحد يعرف . . كيف يؤدى الله أعماله . .

ربما كانت الأشياء التى نظنها نحن خيراً . .

تكون لديه هى الشر بعينه . .

وربما ما نظنه شراً . .

هو عنده الخير بعينه . .

هيروديا‌س : [لهيرود . . فى ضجر] .

دعهم يسكتون . .

أسكتهم . . لقد ضجرت من نقاشهم . .

هيرود : لقد سمعت مرة . . أن النبى يوحنا . .

هو نفسه نبيكم إلياس . .

اليهودى الأول : لا يمكن . . لقد مر زمن طويل . .

منذ أيام النبى إلياس .

الناصرى الأول : إنى على يقين من أنه النبى إلياس . .

اليهودى الأول : لا يمكن . . هذا مستحيل . .

اليهود الآخرون : لا يمكن . . لا يمكن أن يكون هو النبى إلياس . .

هيروديا‌س : أسكتهم . . أسكتهم . . !

صوت يوحنا : انتبهوا . . لقد جاء وعد الله . .

إنى أسمع وقع خطواته على الجبل . .

إنه المخلص الذى يخلص العالم . .

هيرود : ما معنى هذا . . مخلِّص العالم . . ؟!

الناصرى الأول : إنه المسيح الذى ظهر . .

اليهودى الأول : إن المسيح لم يظهر بعد . .

الناصرى الأول : لقد ظهر المسيح . . لقد ظهر . .

وفى كل مكان يصنع معجزاته . .

فى حفل الزواج بالجليل . .

حوّل الماء إلى نبيذ . .

وشفى اثنين من المجذومين فى كفر ناعوم . .

الناصرى الثانى : وأعاد إلى الأعمى بصره . .

لقد شاهده الناس وهو يكلم الملاك عند الجبل . .

هيروديا س : هوه . . أوه . . إنى لا أومن بالمعجزات . .

لقد رأيت الكثير منها . .

الناصرى الأول : لقد أعاد الحياة إلى ابنة ياريوس . .

لقدانهضها من الموت . .

هيرود : [مذعوراً]

هل يعيد الموتى إلى الحياة . . ؟

الناصرى الأول والثانى معاً : نعم يا صاحب الجلالة . .

لقد أعاد الحياة إلى الميت . .

هيرود : إنى أمنعه من أن يفعل ذلك ثانية . .

إنه لأمر سيىء أن يعود الموتى للحياة . .

أين يوجد هذا الرجل . . ؟

الناصرى الأول : إنه فى كل مكان يا صاحب الجلالة . .

ولكن من الصعب العثور عليه . .

الناصرى الثانى : يقولون . . ربما هو موجود الآن فى السامرة .

الناصرى الأول : لقد ترك السامرة منذ أيام . .

أعتقد أنه الآن قرب أورشليم . .

هيرود : هنا ! ! فلتسمعوا إذن . .

إنى أمنعه من إحياء الموتى . .

إنه لشىء مخيف أن يعود الموتى إلى الحياة

مرة ثانية . .

صوت يوحنا : آه . . يا فاسقة . . يا بغى . .

يا ابنة بابيلون . . هكذا يقول الرب . .

هيرودياس : أسكته . . مُرْ بإسكاته . . !

صوت يوحنا : هنالك سوف يأتى القوم . .

سيقفون جميعاً ضدها . .

ويأخذون أحجاراً من الأرض . .

ويرجمونها بالأحجار . .

هيرودياس : هل سمعت هذا . . إنه شهر بزوجتك . .

صوت يوحنا : سيضربها الجنود بسيوفهم . .

وسيمزقون بدروعهم جسدها . .

هيرودياس : أسكته . . مُرْهُ بأن يسكت . . !

صوت يوحنا : هكذا سيزول الفجور والفسق . .

وسوف تكون عبرة لكل امرأةتقلدها . .

لكل من فى بحر الشهوات ترتمى . .

هيرودياس : هل سمعت ما يقوله عنى . .

إنك تدعه يسب زوجتك . .

هيرود : إنه لم يشر إلى اسمك . .

صوت يوحنا : سوف يأتى يوم تتحول فيه الشمس . .

إلى لون أسود مثل جدائل الثـ ـر . .

وسوف يتغطى وجه القمر بالدم . .

وسوف تسقط نجوم السماء على الأرض . .

مثلما تسقط ثمار التين من فروع الشجر . .

سوف يأتى اليوم حتماً . .

حين يخاف جميع ملوك الأرض . .

هيروديا س : آه . . آه . . إن هذا النبى يتحدث كرجل مخمور . .

لا أريد سماع صوته . .

إنى أكره هذاالصوت . .

مره بأن يسكت . .

هيرود : [منصرفا عن ذلك كله ويتوسل إلى سالومى] .

إرقصى من أجلى يا سالومى . .

هيروديا س : سوف لا أدعها ترقص . .

سالومى : ليست لى رغبة فى الرقص . . أيها الملك . .

هيرود : سالومى . . يا ابنة هيروديا س . .

إرقصى من أجلى يا سالومى . .

سالومى : لن أرقص يا صاحب الجلالة . .

هيروديياس : أرأيت كيف تطعيك . . ؟

صوت يوحنا : سوف يجلس على عرشه . .

وسيتغطى بقماش قرمزى وبنفسجى . .

وسوف يبتسم له ملاك الرب . .

حين يأكله الدود . .

هيرود : سالومى . . سالومى . . إرقصى من أجلى . .

أتوسل إليك أن ترقصى . .

إنى حزين هذه الليلة . .

فارقصى من أجلى يا سالومى . .

سالومى . . إرقصى من أجلى . .

إطلبى منى أى طلب . .

سألبى لك كل طلب . . وأعطيك إياه . .

سالومى : [تنهض . . وتتقدم إلى الملك] .

هل حقاً ستلبّى أى شىء أطلبه . .

يا صاحب الجلالة . . ؟

هيروردياس : لا ترقصى يا ابنتى . . لا ترقصى . .

هيرود : أى طلب تطلبين سألبيه . .

حتى ولو طلبت نصف مملكتى . . !

سالومى : هل تقسم على ذلك . . يا صاحب الجلالة . . ؟

هيرود : أقسم على ذلك . . يا سالومى . .

سالومى : وبماذا تقسم . . يا صاحب الجلالة . . ؟

هيرود : أقسم بحياتى . . بتاجى . . بكل آلهتى . .

هيروردياس : لا ترقصى يا ابنتى . . لا ترقصى . .

هيرود : سالومى . . إرقصى من أجلى . . يا سالومى . .

سالومى : لقد أعلنت قسمك . . يا صاحب الجلالة . .

هيرود : نعم أعلنت قسمى . . يا سالومى . .

هيروردياس : ابنتى . . لا ترقصى يا ابنتى . .

هيرود : حتى ولوطلبت نصف مملكتى . .

إنك تستحقين أن تكونى ملكة . .

نعم تستحقين ذلك وأكثر . .

[تنتاب هيرود حالةعصبية . . ويقشعر] .

آه . . إنى أشعر بالبرد هنا . .

أشعر بهبوب رياح ثلجية باردة . .

إنى أسمع . . ماذا أسمع . . ؟

هل هو رفيف أجنحة ضخمة . . ؟

آه . . إنى أتخيل أشياء مرعبة . .

هناك طير أسود ضخم حول الشرفة . .

لماذا لا أستطيع أن أرى هذا الطير . .

إن رفيف أجنحته لشىء مرعب . .

إنى أشعر بهبوب رياح باردة . .

لا . . ليست الرياح باردة . . إنها ساخنة . .

صبوا على يدى الماء .

إعطونى ثلجاً لآكله . .

فكوا عباءتى . .

أسرعوا . . أسرعوا بفك عباءتى . .

لا . . دعوها . . لا تفكوها . .

إنه إكليل الزهور هو الذى يؤلمنى . .

هذه الزهور ملمسها كالنار على رأسى . .

[يخلع الملك إكليل الزهور من على رأسه . . ويلقى به إلى المائدة] .

آه . . إنى الآن أستطيع أن أتنفس . .

إنى سعيد الآن . .

فلترقصى من أجلى الآن يا سالومى . .

هيروديا‌س : لن أدعها ترقص . .

سالومى : [موافقة]

سوف أرقص من أجلك . .

[العبيد يحضرون العطور . . والأقنعة السبعة . . ويخلعون الصندل من قدمى سالومى . .]

[تستعد سالومى لأداء رقصة الأقنعة السبعة]

صوت يوحنا : من ذا الذى سيأتى من عيدوم . . ؟

من ذا الذى سيأتى من بوسرا . . ؟

هذا الذى صبغت ثيابه بلون البنفسج . .

من ذا الذى يماثله فى بهائه . . ؟

ولماذا تغيرت ثيابه إلى لون قرمزى . . ؟

هيروديا‌س : دعنا نعود إلى القصر . .

إن صوت هذا الرجل سيدفعنى إلى الجنون . .

لن أدع ابنتى ترقص . .

بينما هو يصيح هكذا . .

لن أدع ابنتى ترقص . .

بينما أنت تنظر إليها بكل هذا الاشتهاء . .

فى كلمة واحدة . . لن أدعها ترقص . .

هيرود : لا تقومى يا زوجتى . . يا ملكتى . .

لن يفيدك ذلك فى شىء . .

لن أذهب إلى داخل القصر . .

إلا بعد أن تنتهى سالومى من الرقص . .

إرقصى يا سالومى . . إرقصى من أجلى . .

سالومى : إنى مستعدة الآن . . يا صاحب الجلالة !

[رقصة الأقنعة السبعة] . .

[يبدأ الموسيقيون فى عزف رقصة متوحشة . . فتظل سالومى ثابتة . . ثم تتقدم على مهل . . وتشير إلى الموسيقيين إشارةمعينة . . فتخفت النغمات الوحشية فوراً . . ويبدأ الموسيقيون فى عزف نغمات ناعمة . . وتبدأ سالومى رقصة الأقنعة السبعة . .

فى البداية تبدو سالومى كما لو كانت ترقص بلا رغبة . . ولكنها تندمج تماماً فى أداء تلك الرقصة بقوةمتجددة واستغراق تام . . وقبيل نهاية الرقصة . . تخطو سالومى قرب الزنزانة . . وتقف هناك لحظة . . ثم تلقى بنفسها أخيراً . . تحت أقدام الملك هيرود].

هيرود : آه . . كم هذا بديع . . إنه لشىء رائع . .

[يلتفت إلى هيروديياس] .

أرأيت . . لقد رقصت من أجلى . .

اقتربى منى يا سالومى . . اقتربى منى .

سأعطيك مكافأتك . .

سأعطيك مكافأة ملكية . .

سأعطيك أى شىء ترغبين فيه . .

ماذا تطلبين يا سالومى . . تكلمى . . ؟

سالومى : [فى نعومة] .

أريد أن تحضر لى . . فى طبق من الفضة . .

هيرود : فى طبق من الفضة . . ؟

طبعاً . . فى طبق من الفضة . .

سأحضر لك كل ما تطلبين أيتها الجميلة . .

فى ماذا ترغبين . .

ماذا أحضره لك . .

فى طبق من الفضة . .

يا سالومى . . يا حلوة . .

يا أجمل بنات اليهودية . . أخبرينى . .

ماذا أحضره لك فى طبق من الفضة . .

سأحضره لك أياً ما كان . .

كل كنوزى ملك لك . .

فى ماذا ترغبين يا سالومى . . ؟

سالومى : [تنهض وتبتسم]

أريد رأس يوحنا . . !!

هيرود : [مذعوراً] لا . . لا . . !!

هيروديا س : آه . . ما أجمل قولك يا ابنتى . .

لقد أحسنت الطلب . .

هيرود : لا . . لا . . يا سالومى !

إن هذه ليست رغبتك . .

لا تنصتى إلى ما تقوله أمك . .

أنها دائماًتعطى نصائح شريرة . .

لا تسمعى كلمات الشر . .

سالومى : لا أبالى بما تقوله أمى . .

إنها رغبتى أنا . .

أنا أطلب رأس يوحنا . .

تقدم إلى فى طبق من الفضة . .

لقد أقسمت يا هيرود أن تلبى طلبى . .

لقد أقسمت . . إياك أن تنسى . .

هيرود : أعرف أنى قد أقسمت . .

أعرف ذلك جيداً . . لقد أقسمت بآلهتى . .

ولكنى أتوسل إليك يا سالومى . .

اطلبى منى أى شىء آخر . .

اطلبى منى نصف مملكتى . .

سأعطيها لك فوراً . .

لكن لا تصرّى على ما قالته شفتاك . .

سالومى : لا أطلب منك شيئاً . . سوى رأس يوحنا . .

هيرود : لا . . لا . . لن أعطيها لك . .

سالومى : لقد أقسمت يا هيرود أن تلبى طلبى .

هيروديا س : نعم لقد أقسمت . .

وكل الموجودين سمعوا قسمك . .

هيرود : إهدئى يا امرأه . .

إنى لا أتوجه بالحديث إليك .

هيروديا س : ما أحسن الطلب الذى طلبته ابنتى . .

طلبت رأس يوحنا الذى يسبنى ويشتمنى فى كل حين . .

لا تلينى يا ابنتى . . ولا تتراجعى عن طلبك . .

لا تتراجعى . . فإن الملك قد أقسم . .

هيرود : [لهيروديا س]

إسكتى ولا تحادثينى . .

[لسالومى]

أرجوك وأتوسل إليك . .

لا تكونى عنيدة هكذا . .

لقد أحببتك يا سالومى طول الوقت . .

تعالى إلى هنا . . لقد أحببتك كثيراً . .

لذلك . . أرجوك لا تطلبى منى هذا الطلب . .

إن منظر رأس رجل مقطوع من جسده . .

منظر مخيف ومرعب . .

منظركريه . . لا يستحق النظر . .

إسمعى ما أقوله لك . .

إن عندى زمردة خضراء . .

إنها أعظم زمردة فى العالم . .

سأعطيها لك . . أليس كذلك . .

أطلبيها أعطيها لك فوراً . .

تلك الزمردة الخضراء الثمينة . .

سالومى : أريد رأس يوحنا . .

هيرود : أنت لا تنصتين إلى . .

أنت لا تسمعين ما أقوله . .

لقد أجهدتنى فى الكلام يا سالومى . .

سالومى : أريد رأس يوحنا . .

هيرود : إنك تقولين ذلك حتى تسببى لى المتاعب . .

لأنى أنظر إليك باشتهاء . .

لقد أسرنى جمالك . . وشدنى إليك . .

أوه . . أحضرو إلى النبيذ . .

إنى عطشان أريد أن أشرب . .

سالومى . . سالومى . .

دعينا نتفاهم كالأصدقاء . . فكّرى . .

آه . . بماذا أخبرك . . ماذا كنت أقول . .

آه . . لقد تذكرت . .

سالومى . . أنت تعرفين طواويسى البيضاء . .

طواويسى الجميلة البيضاء . .

التى تتيه خيلاء فى الحديقة . .

بين شجيرات الورد العطر . .

سأعطيها لك كلها . . سأعطيك كل طواويسى . .

لا يوجد أى ملك فى العالم . . يمتلك مثل طواويسى . .

لدى مائة طاووس .

سأعطيها لك كلها !

[يشرب المزيد من النبيذ] .

سالومى : إعطنى رأس يوحنا . .

هيروديا‌س : أحسنت القول يا ابنتى . . أحسنت القول . . !

هيرود : أخرسى يا امرأة . .

إنك تتحدثين كوحش مفترس . .

هيروديا‌س : وأنت سخيف . . وكل طواويسك سخيفة . .

هيرود : إسكتى فإن صوتك يغضبنى . .

إسكتى قلت لك . .

سالومى فكرى فيما تصنعين . .

ربما يكون الرجل مرسلاً من الله فعلاً . .

إنه رجل مقدس . .

لقد مسته يد الله . .

ربما سيقع علينا الأذى . . سالومى . . إسمعينى . .

سالومى : أريد رأس يوحنا . .

هيرود : إنك لاتنصتين إلى . .

إهدئى يا سالومى . . واسمعى . .

إنى أخبىء فى هذا القصر مجموعة من الجواهر . .

جواهر لم يرها أحد من قبل . .

حتى أمك نفسها لم ترها . .

عندى عقد أربعة أدوار من اللؤلؤ . .

وعندى أشكال وألوان من حجر التوباز . .

منها الأصفر كعيون النمر . .

ومنها الوردى كعيون الحمام . .

ومنها الأخضر كعيون القط . .

وعندى الكثير من أحجار الأوبال . .

تتلألأ دائماً بشعاعات مثل الثلج باردة . .

سأعطيها لك كلها . .

عندى جواهر وأحجار كريمة . .

من كل الأنواع والأشكال والألوان . .

سأعطيها لك كلها . .

لدى بللورة من الكريستال سحرية . .

لا يمكن لامرأة أن تنظر إليها . .

وعندى عقد من الجواهر وحجر التركواز . .

من يلبسه فوق جبينه . . يرى خيالات جميلة . .

ويرى أشياء غير حقيقية . .

إنهاكنوز لا تقدر بثمن . .

ماذا تريدين بالاضافة إليها يا سالومى ؟

كل ما تطلبيه سأعطيه لك . .

فقط . . إنقذى حياة الرجل !

فلن أعطيها لك . .

سأعطيك عباءة كبير الكهان . .

سأعطيك النقاب الذى يغطى قدس الأقداس بالمعبد . .

اليهود الخمسة : أوه . . أوه . . أوه . .

سالومى : إعطنى رأس يوحنا . .

هيرود : [هيرود يسقط مرهقاً فوق مقعده]

إعطوها ما طلبت . . إنها حقاً . . طفلة أمها المدلّلة . .

[هيروديا تتقدم إلى الملك هيرود . . وتمسك بيده . . وتخلع «خاتم الإعدام» من إصبعه . . وتعطيه إلى الجندى الأول . . الذى يسرع بدوره باعطاء الخاتم إلى السياف لينفذ إعدام يوحنا] .

هيرود : من ذا الذى خلع خاتم الإعدام من إصبعى . .

[السياف يسرع بدخول الزنزانة] .

كان الخاتم فى إصبعى منذ لحظة . .

ومن ذا الذى شرب كأس نبيذى . .

كان الكأس ملآنا . .

لابد أن شخصا ما قد شربه . .

أوه . . إنى على يقين أن البلاء سيحل بنا . .

سالومى : [تتصنت إلى ما يدور فى الزنزانة]

لا صوت هناك . . إنى لا أسمع صوتاً . .

لماذا لم يصرخ هذا الرجل . .

آه . . سوف أصرخ لو جاء أحد ليقتلنى . .

سوف أقاوم . . سوف لا أحتمل . .

إضرب رأسه يا رجل . .

إقطع رأسه يا سياف . . قلت لك . .

إذبحه الآن فوراً . . !

ولكنى لا أسمع صوتاً . .

هناك صمت مخيف مرعب . .

آه . . لقد سقط شيء على الأرض . .

لقد سمعت شيئاً يسقط . .

إنه سيف السياف على الأرض سقط . .

إنه جبان خائف هذا العبد . .

لقد سقط منه سيفه . .

خاف أن يذبحه . . خاف أن يقطع رأسه . .

فلترسلوا الجنود إلى الزنزانة ليأتونى برأسه . .

[توجه الحديث إلى الوصيفة] .

تعالى هنا . .

أنت صديقة لهذا الرجل الميت . . أليس كذلك . .

ولكن انظرى . . إنى آمرك . .

قولى للجنود أن يذهبوا إلى الزنزانة . .

ليأتونى بطلبى . .

طلبى الذى أقسم الملك بأن يحققه . .

[الوصيفة تتراجع . . وتلتفت سالومى إلى الجنود]

تعالوا إلى هنا أيها الجنود . .

إذهبوا إلى الزنزانة . .

واحضروا لى رأس هذا الرجل . .

لقد أمر الملك باعطائى رأس يوحنا . .

[تمتد من الزنزانة ذراع السياف السوداء . . وهى تحمل رأس يوحنا فى طبق من الفضة . . فتأخذها بين يديها . . ويخفى الملك وجهه بعباءته مضطرباً . . وتهز هيروديا مروحتها فى سعادة المنتصرة . . بينما يركع الناصريون فى صلاة حزينة] .

سالومى : آه . . يا يوحنا . .

لن تستطيع الآن أن تمنعنى . .

من أن أقبّل فمك . .

الآن . . سأقبلك فى شفتيك . .

وسأعضهما بأسنانى . .

كما لو كنت أقضم ثمرة ناضجة . .

نعم . . سأقبلك الآن . .

سأقبل فمك يا يوحنا . .

لقد قلت أنى أريد أن أقبلك . .

ألم أقل لك أريد قبلة . . ؟

نعم . . لقد قلتها . .

آه . . آه . . يا يوحنا . . سوف أقبلك . .

ولكن . . لماذا لا تنظر إلى يا يوحنا . .

عيناك المخيفتان اللتان كان ملؤهما الغضب والاحتقار . .

إنهما مغمضتان الآن . .

لماذا تغمض عينيك يا يوحنا . .

إفتحهما . . إفتح عينيك لترانى . .

إرفع حاجبيك . . وافتح عينيك جيداً . .

لماذا لا تريد أن ترانى . .

هل أنت خائف منى يا يوحنا . .

فأغلقت عينيك لكى لا ترانى . .

ولسانك يا يوحنا . . .

لماذا لا ينطق ولا يتكلم . .

لقد كان مثل حية قرمزية داعرة . .

كان ينفث سمومه فى وجهى . .

أليس غريباً أن الحية الحمراء . . .

ماعادت تستطيع أن تزحف . .

وما عادت تستطيع أن تسبنى وتشتمنى . .

أنا سالومى . . ابنة هيروديياس . .

أميرة اليهودية . .

هأنذا مازلت أحيا . .

بينما أنت قد آتاك الموت . .

وأصبحت رأسك ملكى . .

أفعل بها ما أشاء . .

أستطيع أن أرميها للكلاب . .

أو أتركها فريسة لطيور السماء . .

وبعد أن تنهشها الكلاب . .

ستلتهم الطيور ما بقى . .

آه . . آه . . يا وحنا . .

كان جسدك كعمود من العاج . .

مزيناً بالفضة وزهور الزنبق . .

لم يكن هناك شىء على الأرض . .

أكثر بياضاً من جسدك . .

لم يكن هناك شىء على الأرض . .

أكثر سواداً من شعرك . .

لم يكن هناك شىء على الأرض . .

أكثر احمراراً من شفتيك . .

كان صوتك كعبق البخور . .

كان يرن فى أذنى كأنغام الموسيقى . .

لماذا لا تنظر إلى يا يوحنا . .

لماذا أغلقت عينيك . .

تلك العينين اللتين تقول أنهما رأتا الله . .

هل رأيت الله حقاً يا يوحنا ؟

أنا . . أنا لم أر الله أبداً . .

لو كنت قد رأيت جمالى . .

لوقعت حتماً فى حبى . .

إنى عطشى يروينى جمالك . .

إنى جوعانة يشبعنى جسدك . .

لا النبيذ ولا التفاح يشبع رغباتى . .

ماذا أفعل الآن يا يوحنا . . ؟

لا الفيضان . . ولا الشلال . .

يستطيع أن يطفىء شهوة ملتهبة . .

أوه . . لماذا لا تنظر إلى يا يوحنا . .

لماذا لا تنظر إلى . . ؟

أنك بالقطع كنت ستعشقنى وتهوانى . .

إنى على يقين من ذلك . .

إن غموض الحب أكبر بكثير من غموض الموت . .

هيرود : [لهيروديا س]

إن ابنتك لوحش كاسر . .

أقول لك . . إنها وحش كاسر . .

هيرودياس : إنى فخورة بابنتى وما صنعت . .

والآن . . سوف أبقى هنا . .

هيرود : [ينهض مضطراً] .

آه . . لقد غيرت زوجة أخى رأيها . .

قالت من قبل انها لن تبقى هنا . .

وتقول الآن أنها باقية . .

تعالى لأخبرك . .

ألم أقل لك أن شيئاً سيئاً سوف يحدث . .

دعونى أخفى نفسى داخل القصر . .

هيروديـاس . . لقد بدأت أرتعد . .

إنى أرتعد . . !

[لخدمه]

ماناساه . . إيزاكار . . أوزياس . .

أطفئوا المشاعل . .

خبئوا النجوم . . واخفوا وجه القمر . .

إن شيئاً مخيفاً سوف يحدث . .

[يقوم العبيد باطفاء المشاعل . . وتختفى النجوم . . وتمر على القمر سحابة كثيفة تخفيه تماماً . . ويبدأ الملك فى الصعود إلى سلم القصر . .] .

سالومى : [متهاوية متهافتة] .

آه لقد قبلت فمك يا يوحنا

لقد قبلت فمك . .

ولكن فمك كان مر المذاق . .

ذقت المرارة من شفتيك . .

هل كان هذا طعم الدم . .

كلا . . كان هذا طعم الحب . .

يقولون دائماً . . أن الحب مر المذاق . .

ولكن هذا لا يهم . .

كفانى أنى قبلت فمك يا يوحنا . .

قبلت شفتيك . .

[يسقط شعاع ضئيل من نور القمر فوق سالومى] .

هيرود : [يستدير صائحاً] .

اقتلوا هذه المرأة . . !!

[يندفع الجنود نحوسالومى . . ويحيطون بها من كل جانب بسيوفهم . .] . .

[انتهت مأساة سالومى ويوحنا المعمدان] .

جاك لنـدن

نداء البرارى

THE CALL OF THE WILD

BY : JACK LONDON

كان باك كلباً محظوظاً . . فقد كان يعيش فى بيت القاضى «ميللر» حياة رغدة مملوءة بالحب والتعاطف المتبادل بينه وبين القاضى وابنائه وكل من فى البيت من الآخرين .

كان «باك» لايعرف قراءة الصحف ، وإلا لقرأ أخبار اكتشاف الذهب فى شمال البلاد عام ١٨٩٧ ، واندهش من اندفاع الناس بأعداد غفيرة للبحث عن هذا المعدن الثمين فى الأصقاع الجليدية التى تقع فى الشمال المتجمد ، ولعرف أيضاً أن هؤلاء الناس أصبحوا فى أشد الحاجة إلى أعداد كبيرة من الكلاب القوية الأجسام ، والتى يعتمد عليها فى أعمال جر الزحافات فوق الجليد . .

وبالرغم من ضخامة جسمه وقوته الجسمانية الهائلة فقد كان لايعرف أن «مانويل» مساعد البستانى رجل سيىء على استعداد أن يرتكب أية جريمة فى سبيل الحصول على المال . . ولذلك فقد انتهز هذا الرجل الشرير فرصة غياب القاضى وأولاده وأهل البيت جميعاً ، فتقدم إلى «باك» وسحبه ليقوم معه بنزهة خارج البيت . . وسار به «مانويل» حتى وصلا إلى محطةالقطار . . وهناك تقابل «مانويل» مع أحد الرجال وتحدث معه حديثاً طويلاً انتهى بأن أعطى الرجل لمانويل بعض النقود . .

وعندما وصل القطار إلى المحطة ، لاحظ «باك» أن الرجل يسحبه إلى داخل إحدى العربات ، فغضب «باك» بشدة ونبح نباحاً عالياً وأخذ يقاوم تلك المحاولة الشريرة ، ولكن الحبل أخذ يضيق حول رقبته حتى أصبح غير قادر على التنفس ، كما أن الرجل الغريب مد يده إلى حنجرة «باك» ولواها بشدة ، ومع ذلك فقد استطاع «باك» أن يعض يد الرجل حتى أدمت ، وذلك قبل أن يفقد «باك» السيطرة على نفسه تماماً بعد أن ضاق تنفسه وتدلى لسانه . .

وانطلق القطار حتى وصل إلى سان فرنسسكو . . وكان «باك» قد أفاق من غشيته أثناء الطريق ، ولشدة دهشته وجد نفسه حبيساً فى قفص متين مصنوع من الخشب . . وهناك باع الرجل «باك» إلى أحد تجار الكلاب . . وجاء أربعة رجال لهم ملامح خشنة ويبدو عليهم الاجرام ، وحملوا القفص إلى محل تاجر الكلاب ، وهو رجل بدين غليظ الطباع وكان يمسك فى يده فأساً وفى يده الأخرى عصاً غليظة من الخشب الصلب .

وتقدم التاجر بثبات واستعمل الفأس فى كسر فتحة فى القفص تسمح بخروج «باك» من محبسه . . وعلى الفور انطلق «باك» بكل قوته والشرر يتطاير من عينيه من شدة الغضب ، وقفز نحو صدر الرجل ، ولكن فى منتصف المسافة وبمنتهى السرعة انهال الرجل بضربة قوية مسددة بإحكام إلى رأس «باك» فتدفق الدم من الجرح الذى أصاب فمه . . وتلقى «باك» هذه الضربة بكل شجاعة وجمع قواه مرة أخرى وقفز نحو الرجل . . ولكن الرجل عاجلة بضربة أخرى كانت أشد وأقوى وأكثر إيلاماً من الضربة الأولى ، ثم عاجله بعد ذلك بضربة ثالثة ورابعة إلى أن انهارت كل قدرته على

المقاومة ، فقبع على الأرض وهو ينبح نباحاً خافتاً يعبر به عن كل ما أصابه من حزن وألم ، وكان الدم يسيل من فمه وأنفه وفكيه ويغطى فراءه الكثيف .

وعندئذ تقدم الرجل بكل شجاعة وثبات نحو «باك» القابع على الأرض فى استكانة واستسلام وأخذ يربت على رأسه ورقبته وظهره . . وقدم إليه إناءً به ماء ، فأخذ «باك» يلعق الماء بشغف لأنه كان عطشاناً . . ثم قدم إليه الرجل كمية كبيرة من اللحم ، فتناولها «باك» بمنتهى السرعة لأنه كان جوعانا . . وبعد أن شرب حتى ارتوى وأكل حتى شبع ، قال له الرجل وكأنه يؤد به : عليك أن تكون كلباً طيباً وطيعاً . . وإلا فهذه العصا الغليظة ستدق عظامك . . فاهم ؟!

ومرت أيام . . وجاءت إلى المتجر كلاب أخرى من كل الأنواع . . وكانت كلها من الكلاب الضخمة القوية الأجسام . . وكان بعض الرجال يحضرون إلى المتجر لشراء هذه الكلاب . . ولاحظ «باك» أن المشترين كانوا يأخذون معهم الكلاب التى يشترونها . . ولكنه لايعرف إلى أين يذهبون بها . وأخيراً أصبح «باك» محل صفقة تمت بين تاجر الكلاب وشخص اسمه «بيرولت» يعمل فى نقل البريد التابع للحكومة الكندية ، ويبدو صاحب خبرة عالية فى فهم أنواع وأصناف الكلاب . .

أعجب «بيرولت» بالكلب «باك» بمجرد أن رآه ، فتعاطف معه على الفور ، واشتراه هو وكلبة أخرى اسمها «كيرلى» . . واصطحبهما «بيرولت» إلى إحدى السفن ، حيث تقابل مع زميل له اسمه «فرانسوا» كان معه كلبان آخران ضخمان ، أولهما اسمه «سبيتز» والثانى اسمه «ديف» .

وأبحرت السفينة فى رحلة طويلة استمرت عدة أيام ، اطمأن «باك»

خلالها إلى كل من «بيرولت» و«فرانسوا» اللذين كانا يعاملان كل الكلاب بمودة لا تخلو من الحزم . . وعندما كان يشتد هياج البحر ، كان يشتد نباح الكلاب معبرين عما يشعرون به من خوف وهلع ، وكان البحر يهيج فى أغلب الأوقات ، وأثناء الليل والنهار ، كما أصبح الجو أكثر برودة عن ذى قبل . . وشعر «باك» بأن البرد أصبح قارساً لايحتمل .

وأخيراً توقفت السفينة وسحب الرجلان كلابهما ونزلوا جميعاً إلى الشاطىء . . وشعر «باك» بأن أقدامه تغوص فى مادة ناصعة البياض شديدة البرودة تغطى الأرض كلها . . واندهش «باك» من رؤية كل هذا البياض المترامى الأطراف ، ومن الشعور بكل هذا القدر من البرودة القارسة . . فقد كانت هذه أول تجربة له للسير فوق أرض مغطاة بالجليد ! .

●● كانت حياة «باك» الجديدة فى تلك الأصقاع الجليدية حياة كلها كد وتعب وشقاء ، لا مجال فيها للراحة أو الشعور بالأمان . . فجميع الكلاب تتقاتل مع بعضها بسبب أو بدون سبب . . وغالباً ما يكون هذا الاقتتال دموياً ووحشياً ، وكثيراً ما ينتهى بالجروح الغائرة والعاهات المستديمة أو ينتهى بمصرع أحد الكلبين المتقاتلين . وشاهد «باك» ـ وهو فى شدة الذعر والهلع ـ مصرع الكلبة «كيرلى» حين انقض عليها كلب ضخم الجسم تبدو عليه كل مظاهر القوة الغاشمة والشراسة والتوحش .

ومنذ اليوم الأول فى تلك الحياة الجديدة ، أدرك «باك» انهم سيكلفونه بأشق الأعمال ، فقد ألجموه بلجام مثل الخيول والبغال ، وطلبوا منه أن يجر الزحافة الجليدية التى كان يركبها «بيرولت» أو «فرانسوا» . . وفى أحيان أخرى كان يشترك فى لجام جماعى مع الكلاب الآخرين فى جر زحافة ضخمة

محملة بحمولة ثقيلة من الأخشاب ، فى رحلة طويلة قد تتجاوز عشرات الأميال .

وبحاسته الكلبية التى بدأت تدرك الأمور بعمق ، أدرك «باك» أن الكلاب التى تشترك معاً فى جر الزحافة ، تعمل جميعها تحت إمرة كلب متمرس اسمه «سبيتز» كان يمارس رئاسته على الكلاب الأخرى بقسوة شديدة ، فيعض بأسنانه القوية أى كلب يتكاسل أو لا ينظم خطواته أثناء الجر . . وكان يلذ له أن يمارس رئاسته على الكلاب حتى أثناء راحتها أو أثناء نومها .

وتعلم «باك» أيضاً كيف يحفر لنفسه حفرة داخل الجليد ، ليتكوم بداخلها حين يحين الليل ويحل موعد النوم ، فقد كانت هذه هى الطريقة الوحيدة التى تلجأ إليها الكلاب طلباً للدفء . . وكان «باك» لايحب الدخول فى صراع مع الكلاب الأخرى . . حتى عندما كان أحد الكلاب يتجاسر ويحاول أن يخطف منه بعض طعامه ، فكان يزمجر فقط أو يطلق نباحاً تحذيرياً عالياً ، ولكنه لايقدم على العض أو الاقتتال .

وبمرور الأيام تعود «باك» على حياته الجديدة فى تلك البرارى والأصقاع الجليدية . . وتعود على جر الزحافات مع الكلاب الأخرى لمسافات طويلة تتجاوز عشرات الأميال ، صعوداً فوق التلال ، وهبوطاً إلى الوديان المغطاة بالجليد ، وعبوراً فوق أسطح الأنهار والبحيرات المتجمدة . .

ولم تكن التجربة وحدها هى الطريقة التى تعلم بها «باك» الصبر والتقبل واحتمال كل هذه الأنواع من الصعاب والشقاء والعنف الدموى . . لقد استيقظ بداخله احساس غامض بطبيعة الحياة الوحشية التى كان يحياها أجداده الأوائل من الكلاب البرية البدائية قبل أن يستأنسها الإنسان !

●● بدأ التحرش بين «سبيتز» و«باك» أثناء رحلة شاقة طويلة فى أصقاع الشمال حيث اشتد البرد بشكل لايحتمل ، واستمرت الرحلة لعدة أيام شعرت فيها الكلاب بالتعب والارهاق ، وكان «سبيتز» كعادته فى ممارسة الرئاسة على الكلاب يزمجر ويعض أى كلب يتوانى قليلاً فى جر الزحافة الثقيلة ، إلا أن «باك» كان يحاول حماية كل الكلاب الأخرى من أى عقاب يفرضه «سبيتز» عليهم ، حتى أصبح من الواضح تماماً أن هناك تنافساً بين الكلبين على رئاسة مجموعة الكلاب الأخرى .

وفى إحدى فترات الراحة أثناء الرحلة ، أشعل «بيرولت» و«فرانسوا» ناراً للتدفئة ، فتحلق الكلاب حول النار للاستمتاع بحرارة الدفء ، إلا أن «سبيتز» بدأ يتحرش «بباك» ويضايقه ، وبدأت معركة حامية بين الكلبين . ولكن حدث فجأة شيء لم يتوقعه أحد ، فقد تعرض المعسكر إلى هجمة ضارية شنها نحو ثمانين كلباً من الكلاب البرية الهزيلة الجائعة التى جذبتها رائحة الطعام ، واشتعل أوار معركة دموية ضارية اشترك فيها الجميع . .

وانتهت المعركة بطرد جميع الكلاب المهاجمة ، ولكن كلاب المعسكر أصيبت جميعها بجروح نتيجة للقتال الضارى ضد الكلاب التى لاذت بالفرار . وخاف كل من «بيرولت» و«فرانسو» أن تكون كلابهما قد أصيبت بالسعار نتيجة للصراع الدموى مع الكلاب الغريبة . وبالفعل ظهرت أعراض السعار على الكلبة «دوللى» التى بدأت تعوى مثل عواء الذئاب ، وتنبح نباحاً حزيناً مؤلماً ملأ قلوب زملائها من كلاب المعسكر بالرعب . وعندما اعترتها نوبة الهياج الوحشى ، وبدأت فى الانقضاض والمهاجمة ، اضطر «فرانسوا» إلى إعدامها .

وبعد انقضاء فترة الراحة ، واصلت الكلاب الرحلة نحو الشمال ، وفى أثناء الطريق كثرت أفعال التحرش بين «سبيتز» و«باك» حتى أصبح من المتوقع أن يتحول هذا التحرش إلى صراع دموى بين الكلبين على الهجوم كراً وفراً . . وفى النهاية أصيب «باك» بجروح كثيرة غائرة ، ولكن «سبيتز» خر صريعاً وانتهت المعركة . وهكذا أصبح «باك» رئيساً لكل الكلاب الأخرى .

ووصلت الرحلة إلى نهايتها فى منطقة «داوسن» حيث تم تسليم البريد واستلام بريد جديد . . ولاحظ «باك» أن المنطقة مزدحمة بالرجال وبكلاب أخرى كثيرة منهمكة فى أشق الأعمال . . وأدرك «باك» بغريزته أن قسوة الحياة فى تلك المنطقة قد حولت هذه الكلاب إلى كلاب ذئبية بدائية تنبح نباحاً أشبه بعواء الذئاب . . ثم يصبح هذا العواء جماعياً ومتناسقاً كما لو كان أغنية ورثوا أنغامها عن أجدادهم القدماء الذين كانوا يعيشون حياة برية قبل أن يستأنسهم الانسان .

وبدأ « باك » يشعر بالراحة والسرور حين كان يشترك مع هذه الكلاب فى ذلك النباح الجماعى الذى يعبر عن الألم الذى كان يعانيه الكلاب الأوائل من الكلاب البدائية التى عاشت فى قديم الزمان !

●● وأثبت « باك » أنه قائد ماهر لبقية الكلاب أثناء رحلة العودة . . وبعد انتهاء هذه الرحلة ، بدأ الإعداد لرحلة الذهاب مرة ثانية إلى الأصقاع الشمالية ، فهذه هى طبيعة العمل فى نقل البريد . . ولكن رحلة الذهاب هذه المرة كانت بدون « بيرولت » ولا « فرانسوا » . وتسلم قيادتها رجال آخرون ، كما اشتركت فيها أكثر من زحافة جليدية تجرها كلاب أخرى .

وفى أوقات الراحة أثناء الرحلة ، كان « باك » يتخيل أجداده البريين



القدماء ، ويتخيل الانسان البدائى الأول الذى كان معاصراً لتلك الكلاب البدائية الأوائل التى كانت تعيش فى البرارى دون استئناس .

كانت هذه الخيالات تبدو كحلم سعيد سرعان ما يتشتت ويعود « باك » مرة أخرى إلى عالم الواقع حيث البرد القارس وعمل شاق لا ينتهى .

وتكررت رحلات الذهاب والعودة . . وأصاب المرض والهزال كلاباً كثيرة . . لدرجة أن الكلب « ديف » لم يعد يستطيع مواصلة جر الزحافةلشدة ما كان يعانيه من ضعف وعدم قدرة على الحركة فاضطروا إلى إعدامه !

●● أصاب الضعف جميع كلاب الفريق ، وبالتدريج تلاشت قدراتهم على جر الزحافات خلال رحلات الذهاب والعودة ، ولم تعد أقدام الكلاب قادرة على الجرى أو سرعة الحركة كما كانت من قبل . وكان لدى الرجال من قادة القوافل أوامر ببيع الكلاب التى أصابها الضعف والوهن واستبدالها بكلاب قوية جديدة . وذات يوم شاهد « باك » عملية بيعه هو وبعض زملائه من الكلاب الأخرى .

كان المشترون الجدد ثلاثة أشخاص غرباء أكبرهم رجل اسمه «تشارلس» فى الأربعين من عمره ، وثانيهم شاب اسمه « هال » فى العشرين من عمره ، أما ثالثتهم فامرأة شابة اسمها « مرسيدس » . . هى زوجة للرجل الأول وأخت للشاب الثانى . . وكان من الواضح انهم جميعاً عديمى الخبرة فى معاملة الكلاب واستخدامها فى جر الزحافات عبر المسافات الطويلة ، ومع ذلك فقد كانوا ينوون الذهاب إلى الأصقاع الشمالية بحثاً عن الذهب .

كانت زحافتهم ذات حمولة ثقيلة ، فعجزت الكلاب عن جرها ، ونصحهم بعض الرجال بالتخلص من بعض الحاجيات قليلة الأهمية

لتخفيف حمولة الزحافة ، وبشراء كلاب إضافية أخرى تساعد فى الجر . وهكذا أصبح « باك » رئيساً على فريق مكون من أربعة عشر كلبا .

ولكن الطعام المخصص لكل هذه الكلاب كان قليلا ، ولم يستطع أى كلب من هذا الفريق أن يحصل على وجبة تكفى لإشباعه . . وبدأت الكلاب تعانى من شدة الجوع والعمل المرهق ، وأخذت تموت كلباً بعد آخر، حتى مات فى النهاية ستة كلاب من أعضاء الفريق ، وأصبح العمل شديد الوطأة على الكلاب الباقية . . وظل « هال » يعامل كل الكلاب بقسوة بالغة مستخدماً السوط والعصا والهراوة الثقيلة ليحثها على مواصلة جر الزحافة . . ولكن يبدو أن الكلاب لم يعد يهمها ضرب الهراوات ولا لسع السياط وارتموا على الأرض لا يريدون التحرك .

وازداد هياج « هال » وازدادت بالتالى قوة ضرباته المؤلمة ، فقامت الكلاب متكاسلة لتبدأ العمل الشاق المرهق فى جر الزحافة . . ولكن «باك» لم يقم وظل راقداً على الأرض ، فانهال عليه « هال » بمزيد من الضربات القاسية الموجعة . وكان « باك » ينبح نباحاً حزيناً بعد كل ضربة، ولكنه استمر راقداً لا يبدى استعداداً لأية حركة .

وكان هناك رجل اسمه « جون ثورنتون » وقف يشاهد هذا التعذيب الذى يتعرض له « باك » فلم يهن عليه أن يرى كل هذا التعذيب دون أن يتدخل ، فطلب من « هال » أن يكف عن ضرب الكلب . . ولكن « هال » لم يتوقف عن توجيه ضرباته القاسية فوق ظهر « باك » وفوق رأسه . . عندئذ اشتد غضب« ثورنتون » فهجم على « هال » ليمنعه من مواصلة الضرب . ونشبت معركة بين الرجلين انتهت بهزيمة « هال » الذى لم يجد مناصاً من ترك « باك »

راقداً على الأرض والتخلى عنه ، وقام ليواصل الرحلة مرة أخرى باستخدام الكلاب المتبقية .

وتقدم « ثورنتون » بكل حنان نحو « باك » وأخذ يربت على ظهره ويملس على رأسه ويحدثه بكلمات ودودة لطيفة . . وشعر « باك » باطمئنان شديد نحو سيده الجديد صاحب القلب الرحيم .

كانت الزحافة قد ابتعدت بمسافة طويلة ، ولكنها مازالت فى مجال النظر بالنسبة لكل من « ثورنتون » و « باك » اللذين اندهشا فجأة حين رأيا الزحافة تسقط فى هوة سحيقة ، واختفى معها « تشارلس » و « هال » و «مرسيدس» وكل الكلاب الأخرى .

●● كان « جون ثورنتون » هذا قد تخلف عن زملاء له فى رحلة إلى الأصقاع الشمالية بعد أن أصابه المرض وتجمد الأطراف ، ولذلك فقد اضطر إلى أن يبقى فى هذا المكان بعد أن زوده زملاؤه بكل ما يحتاجه من مؤن وطعام يكفيه هو وكلبين آخرين هما : « سكيت » وهى كلبة صغيرة لطيفة ، و«نيج» وهو كلب أسود ضخم الجسم ولكنه صاحب عينين ضاحكتين .

وقامت الكلبة « سكيت » بدور الطبيب والممرضة ، فكانت تنظف جراح « باك » وتحيطه بعطفها حتى تم شفاؤه . واندهش « باك » تماماً من تلك الحياة الوديعة التى أصبح يحياها بين « ثورنتون » صاحب القلب الرحيم، وكلبيه الوديعين اللذين بادلاه كل حب وتعاون دون أى رغبة فى الصراع أو الاقتتال مثل الكلاب الخشنة الأخرى . . وأصبح « باك » يقضى وقته كله فى الراحة واللعب والنوم وتناول الطعام .

وبالرغم من تلك الحياة الجديدة الهادئة ، فقد ظل نداء البرارى يتردد فى

أعماق « باك » كلما استكان إلى الراحة ، وكأن هذا النداء الغامض كان يدعوه لأن يترك عالم الانسان بكل ما فيه من عناء وشقاء ، وينطلق إلى داخل الغابة ليعيش الحياة البدائية الأولى التى كان يحياها أجداده القدماء .. وفى أكثر من مرة كان « باك » يلبى هذا النداء ، ويندفع جارياً نحو الغابة ، ولكنه سرعان ما كان يعود مرة ثانية إلى صديقه « ثورنتون » .

وبمرور الأيام والأسابيع والشهور الطوال ، ازدادت أواصر الحب والصداقة بين « باك » و « ثورنتون » . وكان « باك » لا يحتمل أن يغيب عن صديقه ولو للحظه واحدة . . وكان يرافقه أينما ذهب ، ويدافع عنه ضد أى مكروه . . لدرجة أنه أوشك فى إحدى المرات أن يفتك برجل حاول التشاجر مع « ثورنتون » لأحد الأسباب . . كما أنقذ حياة « ثورنتون » فى مرة أخرى حين اندفع به القارب الذى كان يركبه فى مجرى المياه المندفعة بقوة وعنف فى أحد الأنهار بعد ذوبان الجليد . . وكاد « ثورنتون » أن يفقد حياته غرقاً ، لولا أن قام بعض رفاقه بربط حبل فى إحدى الأشجار وأمسك « باك » بالطرف الآخر لهذا الحبل ، واندفع سابحاً فوق المياه الهادرة بعنف يفوق الوصف ، إلى أن استطاع فى النهاية أن يعطى طرف الحبل إلى « ثورنتون » ، ثم قفز إلى القارب . . واستطاع الرفاق أن يسحبوا القارب قبل أن يجرفه التيار إلى حافة هاوية سحيقة لشلال عميق . وبهذه الطريقة الفدائية العظيمة ، ثم انقاذ حياة « ثورنتون » من موت محقق .

ولهذا يمكن القول بأن أواصر الصداقة والحب التى كانت تربط بين قلبى « باك » و « ثورنتون » هى تعبير واضح وصريح عن أعمق المشاعر الطيبة التى تربط بين انسان وحيوان !

●● فى أحد الأيام تراهن « ثورنتون » مع شخص ثرى اسمه « ماثيوسون »

على أن كلبه « باك » يستطيع أن يحرك زحافة متجمدة فى الجليد وعليها حمولة قدرها ألف رطل ، بل ويستطيع أيضا أن يجر هذه الزحافة لمسافة قدرها مائة ياردة بعد أن ينتزعها من الجليد . . وكانت قيمة الرهان ألفى دولار . . وتجمع عدد كبير من الرجال لمشاهدة « باك » وهو يحاول تحريك الزحافة ، وليروا من سيكسب الرهان فى نهاية الأمر . وبذل « باك » جهداً مستميتاً لتنفيذ الأمر الذى أصدره إليه « ثورنتون » بتحريك الزحافة الثقيلة وانتزاعها من الجليد المتجمد حولها . . وأخيراً تحركت الزحافة وانطلق بها « باك » لمسافة مائة ياردة إلى أن صدر إليه أمر بالتوقف عن الجر . . وكسب «ثورنتون» ألفين من الدولارات .

وبهذا المبلغ الكبير استطاع «ثورنتون» أن يغطى تكاليف مغامرة كان كثيراً ما يفكر فى القيام بها ، فاتفق مع صديقيه «بيت» و«هانز» على القيام برحلة للذهاب شرقاً للبحث عن منجم قديم غامض تحكى بعض القصص والحكايات عما فيه من عروق وتراب الذهب ، كما يقال أيضاً أن جميع من ذهبوا إلى منطقة هذا المنجم لم يعودوا بعد ذلك أبداً .

وقام الأصدقاء الثلاثة باعداد زحافة يجرها ستة كلاب ، وتوجهوا إلى الشرق فى طرق ودروب مجهولة . . واستمرت الرحلة لعدة أسابيع . . ثم لعدة شهور جابوا خلالها مناطق لم يطرقها أحد من قبل ، صعدوا جبالاً عالية وهبطوا إلى وديان واسعة ، وعبروا الكثير من الجداول والأنهار الصغيرة والبحيرات فى مناطق شاسعة مترامية الأطراف خالية تماماً من أسباب الحياة .

وأخيراً وصلوا إلى واد فسيح تظهر فيه حبيبات الذهب والقطع الكبيرة منه متلألئة فى قاع الجداول والنهيرات الصغيرة ذات المياه الصافية . . وبدأ

الرجال عملهم فى جمع الذهب بكل همة ونشاط ، وجمعوا كميات كبيرة من الذهب الصافى كانوا يضعونها فى أكياس يحتوى كل كيس منها على خمسين رطلاً . . وكانوا يرصّون هذه الأكياس فوق بعضها فى شكل كومة ثمينة هائلة .

ولم يكن هناك شىء تفعله الكلاب سوى النوم واللعب وتناول الطعام ، وكثيراً ما كان «باك» يصاحب «ثورنتون» فى ذهابه لصيد الأرانب والأسماك والحيوانات الأخرى التى تصلح لطعام الرجال كما تصلح لطعام الكلاب .

وفى فترات الراحة كان «باك» يرقد قابعاً فوق الأرض ، متجهاً بوجهه نحو الغابة ، وينغمس فى الأحلام والخيالات التى تسيطر على حواسه وتأخذه إلى ماض سحيق فى أعماق الزمن ، حين كان أجداده البدائيون القدماء يعيشون حياتهم البرية فى البرارى والغابات . . وكان يتخيل أنه يسمع أصواتهم الغريبة وهى تدوى فى أرجاء المكان دون أن يدرى من أين تصدر .

وفى إحدى الأمسيات وبينما كان «باك» مستغرقاً فى خيالاته وأحلامه سمع صوتاً حقيقياً صادراً من أعماق الغابة . . وكأن الصوت كان نداءً سرياً يدعوه إلى الغابة بكل ما فيها من أسرار الحياة القديمة التى كان يعيشها الأجداد القدماء . . وفى الحال هب «باك» واقفاً على قدميه وانطلق يعدو إلى داخل الغابة باحثاً عن مصدر الصوت .

وانقضت عدة ساعات واشتد الظلام ، وأخذ «باك» ينصت بامعان لعله يسمع هذا الصوت مرة أخرى . . ولكن لم يكن هناك سوى سكون شامل لا يقطعه إلا حفيف أوراق الشجر . . وأخيراً وصلت أصداء الصوت قادمة من

مكان بعيد فى أعماق الغابة . . وبكل سرعة وحذر انطلق «باك» عدواً نحو هذا المكان .

وهناك شاهد ذئباً تلمع عيناه وأنيابه وأسنانه البيضاء فى الضوء الخافت الذى يرسله القمر ونجوم السماء . . فى البداية وقف الذئب خائفاً مذعوراً من هذا الكلب الهائل الذى ظهر أمامه فجأة وفى لمح البصر . . ثم قفز قفزة هائلة وانطلق يعدو هارباً بأقصى ما يستطيع من سرعة . . وفى أقل من ثانية انطلق «باك» يعدو خلفه . . واستمرت المطاردة والمراوغة لأكثر من ساعة حتى تعب الذئب وخارت قواه ووقف مستسلماً لمصيره التعس بعد معركة دموية متوقعة بينه وبين هذا الكلب الضخم القادر على الانتصار بكل سهولة .

ولكن المعركة لم تبدأ ، بل وقف «باك» ثابتاً أمام الذئب ومحاولاً أن يفهمه أنه صديق ولا يرغب فى القتال . . وببطء شديد أخذ يقترب من الذئب ويشم أنفه دليلاً على الصداقة والأخوة . . وبعد ارتياب وارتعاش استجاب الذئب لهذه المشاعر الطيبة التى أبداها «باك» نحوه ، واطمأن تماماً لهذا الصديق الجديد .

كان «باك» يشعر بأن هذا الذئب الصديق هو أخوه من سلالات أجداده الأوائل الذين كانوا يعيشون فى البرارى حياة بدائية . . ولذلك فقد كان يعامله كأخ وصديق معاً . . كان يلعبان سويا . . ويشربان سويا . . ويركضان داخل الغابة لمسافات طويلة . . ويشتركان معاً فى صيد الحيوانات الحية وأكلها بعد قتلها .

واستمر «باك» فى هذه الحياة الحرة الطليقة التى راقت له لأكثر من

أسبوع، إلى أن عاد «باك» إلى التفكير مرة أخرى فى حياته التى قضاها مع الإنسان . . وتذكر على الفور صديقه «جون ثورنتون» . . وعندئذ لم يستطع «باك» أن يكبح جماح نفسه ، وانطلق يعدو فى طريق العودة إلى المعسكر حيث ترك أصدقاءه من الرجال والكلاب .

كان «باك» يعرف طريقه عبر الجبال والوديان والغابات ، واستمر فى الجرى لمدة يومين حتى وصل إلى مشارف المعسكر . . وهناك وجد مفاجأة دامية .

كان كل شىء مبعثراً ومحترقاً . . ولم يعد باقياً من المعسكر إلا الموت . . فقد مات جميع الرجال وجميع الكلاب قتلى بالسهام ذات الريش التى اخترقت جميع الأجساد التى كانت حية فى هذا المكان . . لقد هجم الهنود على العسكر ودمروه تدميراً .

كان «باك» يعرف جيداً أن الموت هو نهاية الحياة . . وأن الموتى لا يعودون قادرين على العمل والجرى ، ولا يستطيعون أن يستيقظوا من رقادهم أو يتناولوا الطعام . . فامتلأ قلبه بالحزن ، وصدرت من حنجرته أصوات ملتاعة هى خليط من النباح والعواء والبكاء !

وفجأة وصلت إلى مسامعه أصداء بعيدة لدقّات الطبول . . فقد عقد الهنود الحمر حلبة الرقص احتفالاً بانتصارهم على المعسكر وسكانه . . وفى لمح البصر انتفض «باك» بكل مشاعر الرغبة فى الانتقام . . وانطلق يعدو بأقصى سرعة ، ولم يتوقف عن الجرى إلا عندما أنشب أنيابه فى رقبة زعيم الهنود فخر صريعاً ، وبمنتهى السرعة أنشب أنيابه فى رقبة هندى ثان وثالث . . وساد الذعر بين الهنود جميعاً فانطلقوا هاربين أمام هذا الوحش الغريب الذى لم يروا له مثيلاً من قبل .

واكتفى «باك» بما فعل . . ثم انطلق نحو الغابة ليعيش حياته الجديدة . . حياة يحكمها قانون القوة ، ولا تستمر إلا بانقضاض القوى على الضعيف والتهامه . . فهذا هو قانون الغاب وفريضة الصراع المفروضة على جميع الأحياء التى تعيش هناك .

وساد الذعر بين جميع حيوانات الغابة والحيوانات التى تعيش فى البرارى . . ونسج الهنود حكايات وأساطير عن الروح الشريرة التى سكنت أرجاء المكان ، واعتقدوا أن تلك الروح تتمتع بقوة خارقة للطبيعة ، ولا يجسر على الوقف أمامها انسان أو حيوان . . فقد استطاع «باك» أن يصرع ثوراً وحشيا هائل الحجم ، بل وصرع دباً ضخما . . وتوج نفسه ملكاً على كل من يعيش فى البرارى والغابات .

وأخيراً انضم «باك» إلى قطيع من الذئاب الضارية ، التى بدأت أولاً فى مهاجمته من كل ناحية ، ولكنه استطاع أن يدافع عن نفسه دفاعاً باسلاً دون أن يوقع الأذى بأى ذئب من المهاجمين . . وتوقفت الذئاب عن الهجوم حين أبدى لها مشاعر الود والرغبة فى الصداقة .

وهكذا اقتنعت الذئاب جميعاً برئيسها القوى الجديد ، فأخذت تعوى عواء ذئبياً وحشياً ، يعبر عن القوة والفرح والرغبة فى الهجوم والاقتناص . . وكم كان «باك» سعيداً عندما كان يشاركهم فى هذا العواء ، تلبية لنداء البرارى الذى كان يخطر فى أحلامه وخيالاته القديمة !

جيروم ك . جيروم

ثلاثة رجال فى قارب

THREE MEN IN A BOAT
BY : GEROME K . GEROME

نحن ثلاثة أصدقاء . . أنا وجورج وهاريس . . نسكن فى حجرات مستقلة ولكن فى بيت واحد . وكنا نشكو لبعضنا هموم العمل وتعب الأعصاب ، حتى أصبحنا زاهدين فى تناول الطعام بعد أن انسدت نفوسنا ولا أدرى من ذا الذى اقترح اننا يجب أن نقوم برحلة . . أى رحلة . . لعلنا نجد فيها الراحة والتغيير الشامل للجو والمناظر . . حيث نذهب إلى مكان ناء بعيد لا توجد فيه جرائد يومية ولا منغصات الحياة الأخرى .

اقترح هاريس أن نقوم برحلة بحرية ، ولكننا عارضناه فوراً ، وقال جورج ان الرحلات البحرية تسبب دوار البحر الذى يجعلك تندم طول الوقت وتقول لنفسك ليتنى ما قررت القيام بتلك الرحلة اللعينة . وعندما تنزل من السفينة ستقرر بينك وبين نفسك انك لن تعود إلى ركوب البحر مرة أخرى .

واقترحت على صديقىّ أن نقوم برحلة نهرية ، حيث نمارس رياضة التجديف ، ونستنشق الهواء الطلق ، ونشعر بالراحة النفسية والهدوء لمدة أسبوعين نتمتع خلالها بالمناظر الطبيعية الجميلة على ضفتى نهر التيمس .

وافق الصديقان على اقتراحى دون نقاش ، وقام جورج وأحضر خريطة لنهر التيمس وحدد فيها خط سير الرحلة وخط العودة . . وتساءل هاريس عما نفعله لو أن السماء أمطرت علينا ، فأسكتناه بأننا سننام فى القارب الذى

سنستأجره عندما يكون الجو صحواً ، أو ننام فى بعض الفنادق الصغيرة إذا تقلب الجو أو انهمر المطر .

● وفى الليلة التالية أحضرنا قلماً ومجموعة من الأوراق لندوّن فيها ما سوف نحتاجه فى هذه الرحلة . . وأعددنا قائمة طويلة تشمل كافة التفاصيل ، ثم مزقناها وألقيناها فى سلة المهملات لأننا اكتشفنا اننا سنحتاج إلى سفينة ضخمة تستطيع نقل كل ما دوناه . . ولو نقلنا هذه الاحتياجات كلها فى القارب الذى سنستأجره لغرق القارب خلال دقائق معدودة .

واقترح جورج ألا ندون ما نحتاجه ، بل ندون مالا يمكن الاستغناء عنه . . وأن نأخذ من الملابس أقل القليل ، فإذا اتسخت نغسلها فى ماء النهر. ووافقنا على مضض لأننا لانعرف شيئاً عن كيفية غسل الملابس فى الغسالة ، فما بالك بغسلها فى ماء النهر .

وقررنا أن نأخذ معنا كمية محترمة من الطعام ، وموقداً ومقلاة ، ولا نأخذ معنا «كيروسين» لأنه سيجعلنا نشعر كأننا نحيا فى مستودع للبترول ، وسينشر رائحته الكريهة على كل شىء حتى الهواء الذى نتنفسه ، وسيختلط بمذاق الطعام . . ولذلك قررنا أن نأخذ موقداً يعمل بالكحول . كما اقترح جورج أن نأخذ معنا كمية كبيرة من البيض لأنه سهل الاعداد وأخذ يفخر أمامنا بقدرته الفائقة على قلى البيض وسلقه .

● وبعد أن اشترينا كل هذه الحاجيات عانينا كثيراً عند وضعها وترتيبها داخل مجموعة من الحقائب والسلال والأكياس . . ثم تأهبنا للنوم استعداداً لبدء الرحلة فى صباح اليوم التالى بعد أن اتفقنا على الاستيقاظ فى الساعة السادسة والنصف على أكثر تقدير .

ولكنى استيقظت فجأة فى الساعة التاسعة فوجدت جورج وهاريس مازالا مستغرقين فى النوم ، فأيقظتهما بصعوبة وعاتبت جورج لأنه لم يوقظنى فى الوقت الذى اتفقنا عليه ، فقال ببرود كيف يوقظنى وقد تركته نائماً ولم أوقظه لكى يوقظنى .

وأسرعنا بتناول الافطار ، وأمسك جورج جريدة الصباح وبدأ يقرأ لنا نشرة التنبوءات الجوية فأصبنا بالهلع وأوشكنا على الغاء الرحلة . . ولكن هاريس قال اننا يجب أن نأخذ النشرات الجوية بعكس ما تقول . . فإذا قالت أن الجو سيكون بارداً فمعنى هذا أنه سيكون دافئاً . . وإذا قالت أن رياحاً عاتية ستهب فمعنى هذا أن النسيم العليل سيهفهف محملاً برائحة الزهور وهكذا . .

● واندهش الجيران وتجمع الصبية وهم يتفرجون علينا حين وضعنا كل ما كنا نحمله من حقائب وسلال وأكياس أمام البيت ، ووقفنا فى انتظار عربة أجرة تنقلنا إلى محطة ووترلو لنركب القطار الذى سيحملنا إلى كنجستون لنأخذ من هناك القارب الذى سنبدأ به رحلتنا .

كان القطار كما هو مدون فى الجدول سيتحرك فى الساعة ١٥ , ١١ . . وسألنا بعض المسئولين فى المحطة عن رقم الرصيف الذى سيتحرك منه القطار ، فكانت اجاباتهم مختلفة . . واحد قال رصيف (٤) وآخر قال رصيف (٣) وثالث قال رصيف (١) ورابع قال رصيف (٢) . . فاتصلنا برئيس الحركة فى المحطة فقال انه سيتحرك من رصيف (٣) . ولكن القطار الذى جاء ليتحرك من هذا الرصيف كان القطار السريع الذاهب إلى ساوث هامبتون .

وأخيراً شاهدنا قطاراً كان واقفاً فى مكان منزوٍ بالمحطة فسألنا سائقه إلى أين سيذهب ، فقال لا أعرف حتى الآن ، فأعطيناه ثلاثة شلنات وقلنا له خذنا إلى كنجستون ، فوافق . وتحرك بنا القطار الذى تبين فيما بعد انه كان القطار المخصص لنقل البريد ، وعرفنا أن المسئولين بالمحطة ظلوا يبحثون عنه فلم يعرفوا مصيره ولا كيف اختفى !

وعندما وصلنا إلى كنجستون وجدنا القارب الذى استأجرناه ، فوضعنا فيه حاجياتنا ورتبناها . . وبدأت رحلة الاسبوعين فوق سطح النهر . .

● وما أن وجدنا أنفسنا بداخل القارب حتى بدأ نقاش طويل حول تقسيم العمل بين عملية التجديف التى تحتاج كثيراً من الجهد والتعب ، وعملية إدارة الدفة وهى عملية مريحة إلى حد كبير .

وأخيراً انساب بنا القارب فى هدوء فوق سطح النهر . . وبعد نحو ساعتين شاهدنا قصر هامبتون المشهور بمتاهاته . . ففى حدائق هذا القصر عدة طرق متداخلة يتوه فيها أحرص الناس على الدقة وأكثر الناس ذكاء .

سَأَلَنا هاريس : هل دخلتما إلى هذا القصر من قبل ؟ . . فأجبناه بالنفى . . فعلت الابتسامة وجهه وقال لنا بثقة انه يعرف جميع طرقات هذا القصر التى يتوه فيها الناس ، ونصحنا بأن نقوم بزيارة هذا القصر فوراً .

دخلنا إلى القصر وبدأنا طريق المتاهات . . وواصل هاريس إرشاداته لنا عن السير فى الطريق الصحيح . . ولفتت ارشاداته تلك أسماع مجموعة من الزائرين التائهين الذين صادفناهم بداخل المتاهات ، والذين قالوا لنا انهم قضوا حتى الآن ساعتين وهم يلفون ويدورون ولا يعرفون لهم مخرجاً . .

وشعروا جميعاً بقدر كبير من الطمأنينة لأنهم عثروا على مرشد خبير بهذه المتاهات ويعرف الطريق الصحيح الذى سيخرجهم منها .

وانضم إلينا أكثر من عشرين تائهاً كانت بينهم سيدة فقدت أعصابها من شدة العناء الذى عانته وهى تلف وتدور فى المتاهة حاملة طفلها بين ذراعيها . وأخذت السيدة تدعو الله أن يبارك هاريس الذى سينقذهم من هذا العناء . . وبطبيعة الحال فقد امتلأ هاريس بمشاعر الغرور ، وأخذنا نسير خلفه كما لو كنا جنوداً نسير خلف قائدهم العظيم .

ولكنى لاحظت اننا سرنا أكثر من ميلين داخل هذه المتاهات . . بل وكنا نعود كل ربع ساعة من السير إلى نفس المكان الذى كنا فيه من قبل . . وبدأت الأمور تتضح ببطء ، وأدرك الناس أنهم يتبعون خطوات قائد لايعرف الطريق ، وأن معلوماته عن هذه المتاهة أقل بكثير من القدر الذى يعرفونه . . وبدأت الثقة فى هاريس تنهار رويداً ، إلى أن صاحت فيه السيدة التى تحمل طفلها على ذراعيها وأخذت تلعن اليوم الذى رأته فيه ، وأعلنت انها تتمنى ألا تراه فى حياتها مرة أخرى !

وصاح بعض التائهين للنداء على حراس القصر لعل أحدهم يسمعهم ويرشدهم إلى طريق الخروج . ولحسن الحظ فقد ظهر أحد الحراس فوق أحد الأسوار ، وأخبرهم بأنه قادم إليهم . وانتظر الجميع حضور الحارس بلهفة . ولكن الحارس لم يظهر له أثر . . وكان من الواضح انه تاه هو الآخر فى المتاهات وابتعد عنهم بأكثر من نصف ميل .

وفجأة صاح أحد التائهين بأعلى صوته وقال : حمداً لله . . هاهو باب الخروج ! . . فخرج الجميع وهم ينظرون إلى هاريس شزراً . . ولكن هاريس

قال لنا بثقة بعد أن زالت هذه الغمة . . لو كانوا قد تركوه لمدة دقيقتين لكان قد أرشدهم إلى باب الخروج !

● عدنا إلى القارب وواصلنا التجديف حتى وصلنا إلى جزيرة «ماجنا كارتا» . . وهى جزيرة شهيرة فى تاريخ انجلترا ، ففيها وقَّع الملك جون على وثيقة «العهد الأعظم» الذى يعتبر صك الحرية للانجليز ، وقد وقع هذا الحدث فى شهر يونيو عام ١٢١٥ . . الأمر الذى جعلنا نشعر كأننا نعيش فى مكان تبدو عليه سمات القرن الثالث عشر .

رسونا وربطنا القارب بحبل فى جذع شجرة ، وشرعنا فى إعداد الطعام ، ولكن جورج طلب منا أن نقوم أولاً بنشر الغطاء على القارب حتى نجد مكانا صالحاً للنوم ، وكانت فكرة جيدة ولكنها استغرقت حوالى ساعة حل فيها الظلام .

وجلسنا نتناول الطعام ملهوفين لشدة ما كنا نحس به من تعب وجوع . . ثم أوقدنا النار تحت غلاية الشاى ، وأحسسنا بكثير من المتعة ونحن نتناول أكواب الشاى وندخن الغلايين . وبدأنا نعد أنفسنا للنوم .

وكنت أظن أنى سأستغرق فى نوم عميق ، ولكن خاب ظنى ، فقد حلمت بأنى بلعت عملة ذهبية ، وأن بعض الناس يريدون أن يعملوا ثقباً فى بطنى لاستردادها ، ولكنى عرضت عليهم عملة ذهبية أخرى بدلاً من تلك التى بلعتها فلم يقبلوا ، وواصلوا عملهم فى ثقب بطنى بآلة تشبه المفك ، واضطررت طبعا أن أستيقظ مذعوراً هرباً من تلك العملية التعيسة !

● استيقظنا فى الصباح الباكر وقبل أن يستيقظ كل الناس . . وقال لنا

جورج أنه خبير فى قلى البيض ، وسعدنا بهذا الخبر أملاً فى إفطار لذيذ . . ولكننا وجدنا أن معظم البيض الذى اشتريناه قد تكسر واختلط بالفواكه والملابس . وأشعل جورج الموقد بصعوبة بالغة ، ووضع فوقه المقلاة ، وكسر ست بيضات سقطت منها بيضتان على أرضية القارب ، واستقرت البيضات الأربع فوق المقلاة إلى أن احترقت . . واضطررنا إلى الافطار بهذا البيض المحروق اللعين !

● واصلنا التجديف نحو منطقة وندسور ، وكانت رحلة مرهقة لأن الريح لم تكن مواتية ، فلم نفرد الشراع ، كما أن التجديف ضد التيار أمر متعب يعرفه كل من جربه . وعند الظهر توقفنا لتناول الغداء ، وكان مكوناً من قطع اللحم البارد . وكم كنا نتمنى لو أحضرنا معنا كمية من «المستردة» نستطيع أن نتبلع بها هذا اللحم الخالى من أى طعم . . واعتقد اننا كنا على استعداد لأن ندفع كل ما نملك لأى شخص يمر فى المنطقة ومعه «بطرمان» من المستردة يرغب فى بيعه !

وبعد تناول الغداء شعرنا بسرور عظيم حين أخرج جورج علبة فواكه محفوظة عليها صورة ملونة لبعض الفواكه التى تحتويها ، وهى صورة جميلة تثير الشهية . وبدأنا عملية البحث عن الفتاحة فلم نجدها . . أخرجنا جميع محتويات كل ما كنا نحمله من حقائب وسلال وأكياس ولكن دون جدوى . وهنا حاول هاريس أن يفتح العلبة بمطواة الجيب ، ولكن المطواة انكسرت وجرح هاريس نفسه . ولذلك فقد حاول جورج استعمال المقص الذى طار مكسوراً بعد أول دقة وكاد أن يدخل فى عينيه . وطلبت أن اشترك معهما فى محاولات فتح العلبة بطريقتى الخاصة فأعطيانى العلبة بكل

ترحيب، فوضعتها على الأرض وأخذت أدق عليها حتى أصبح شكلها مربعاً ، فقلبتها وواصلت الدق عليها فتحول شكلها إلى مستطيل، وواصلت الدق حتى صارت بدون شكل معروف ، ولكنها بالرغم من كل ذلك لم تفتح ، وأراحنا جورج من هذا العناء فأخذ العلبة وألقاها بكل قوته فى منتصف مجرى النهر ، فشعرنا على الفور بارتياح عظيم.

وعندما واصلنا الرحلة كانت الريح مواتية ، ففردنا الشراع وانساب قاربنا بأقصى سرعة فوق سطح النهر . ولحسن حظى كنت أتولى إدارة الدفة . . وما أجمل أن يقود الإنسان قارباً يندفع بمثل هذه السرعة فوق الماء . . إن العملية قد تحتاج إلى بعض الخبرة والسيطرة على الدفة ، ولكن هذا لايهم حين يكون مجرى النهر واسعاً لا عوائق فيه . ولكننا مع الأسف وبالرغم من كل هذا الحرص اقتربنا من أحد قوارب الصيد فتفاديناه وتحاشينا الاصطدام به ، ولكن قاربنا اقتحم شباك الصيد بلا هوادة فمزقها ، واضطررنا لتعويض الصيادين بمبلغ مناسب .

● وما أن انتهينا من مشكلة الصيادين حتى ظهرت مشكلة القوارب البخارية التى كانت تُجرى تجاربها استعداداً للسباق الذى سيقام فى اليوم التالى . . فقد كانت هذه القوارب تنطلق فوق سطح النهر بسرعة رهيبة وتثير أمواجاً عالية تكاد تتسبب فى انقلاب القوارب الصغيرة التى تسير بالشراع أو بالمجاديف ، فضلاً عن «الطرطشة» التى تهب كالعاصفة الثلجية فوق رؤوس ركاب تلك القوارب المسكينة .

كانت القوارب البخارية تمر مسرعة بجوار قاربنا وهى تطلق صفاراتها المخيفة ، فيهتز بنا القارب كما لو أن زلزالاً هائلاً قد حدث ، وكان ركابها


قطب

يصيحون بنا محذرين بأعلى أصواتهم ويصبون علينا اللعنات ويتهموننا بأننا ندبر مؤامرة للاصطدام بهم !

● بعد أن انتهت مشكلة القوارب البخارية هدأت نفوسنا وبدأنا نشعر بجمال الطبيعة على ضفتى النهر . وأخذنا نجدف بهمة حتى وصلنا إلى قرية «سوننج» وهى أشبه ما تكون بقرية خيالية منقوشة على لوحة رسمها فنان موهوب . . بيوتها مغطاة بنباتات خضراء يانعة تزينها ورود وزهور من مختلف الألوان . . وبطبيعة الحال رسونا بجوار الشاطىء لنتأمل تلك الطبيعة الساحرة .

وهنا خطرت فى ذهن جورج فكرة رائعة ، فقد أبلغنا أنه يجيد عمل طبخة لذيذة اسمها «اليخنى الأيرلندى» وطلب منا أن نقشر أولاً بعض حبات البطاطس . فشرعنا على الفور ـ أنا وهاريس ـ فى تقشير البطاطس . وكان من الواضح اننا كنا لا نعرف شيئاً عن الكيفية المثلى للقيام بهذه العملية . . فبعد حوالى نصف ساعة انتهينا بصعوبة من تقشير أربع حبات من البطاطس ، أصبحت بعد التقشير ذات حجم صغير لاتكفى لاشباع طفل . لذلك فقد أعطانا جورج مجموعة أخرى من حبات البطاطس وطلب تقشيرها بعناية ، فكنا نغافله ونضع حبات البطاطس فى إناء الطبخ دون تقشير .

وقال جورج أن «اليخنى الأيرلندى» يتكون من مجموعة من كافة أنواع الخضراوات ، لذلك فقد أفرغ فى إناء الطبخ كمية من الفاصوليا الخضراء والفاصوليا البيضاء وكمية من البصل بعضها مخرط وبعضها بدون تخريط ، ووضعنا فى الإناء كل ما كنا نراه من أشياء تصلح لليخنى . . فوضعنا فيه

كل ما كان لدينا من فضلات الطعام ، وأفرغنا فيه علبة من السمك المحفوظ وبعض قطع اللحم البارد . . وبالرغم من كل هذه «اللخبطة والخلطبيطة» فقد كان «اليخنى الأيرلندى» ألذ طعام تناولناه فى تلك الرحلة ، خصوصاً بعد أن تناولنا بعده فطائر الفواكه مع أكواب الشاى .

● سَأَلَنا جورج عن رأينا فى هذه الطبخة التى ابتكرها ، فشكرناه بشدة وأثنينا عليه ثناءً كثيراً ، فأصابته حالة من الغرور وأخرج آلته الموسيقية وبدأ يعزف لنا بعض الألحان المعروفة ، ولكنه كان لايجيد العزف ، بل ولا يعرف إطلاقاً كيف يتعامل مع أوتار هذه الآلة الموسيقية ، فرجوناه أن يتوقف عن العزف ، ولكنه تجاهل رجاءنا ، فهددناه إن لم يتوقف فسوف نقذف به وبآلته فى نهر التيمس .

وأخيراً توقف جورج عن العزف على مضض ، وحكى لنا باستياء أنه من عائلة يهوى أفرادها العزف على مختلف الآلات الموسيقية ، وأن أحد أبناء عمومته من الشباب انتابته هذه الهواية فجأة ، فأخذ يتمرن على العزف على «القربة الموسيقية» . ولكن مركز الشرطة فى المنطقة التى يقع فيها بيت عمه تلقى ستة بلاغات من الجيران ، وكانت كلها بلاغات غريبة . . فأحد هذه البلاغات يقول انه سمع أصوات جريمة قتل كاملة تتضمن أصوات القاتل وحشرجة القتيل . . وبلاغ آخر يقول انه سمع أصوات شجار شب بين جميع أهل البيت ، وانهم يتبادلون السباب والشتائم بصراخ عال غير مفهوم . . وهكذا كانت بقية البلاغات التى لم يذكر واحد منها انه سمع أصوات «موسيقى القرب» .

ولأن عمه والد هذا الشاب كان غنياً ، فقد حفر لابنه خندقاً تحت الأرض

فى أقصى مكان بحديقة البيت ليمارس فيه هوايته بعزف موسيقى القرب . ولكن بعض أهالى القرية المجاورة أبلغوا السلطات بأن أصواتاً غريبة تصدر من تحت سطح الأرض وتنبىء بحدوث زلزال مدمر أو انفجار بركان مخيف !

● عندما عاودنا الرحيل فوق سطح النهر ، استقر رأى كل من هاريس وجورج أن أقوم أنا بالتجديف لمسافة ثلاثة أميال . وانصعت طبعاً لرأى الأغلبية . ولكن ما أن شرعت فى الامساك بالمجدافين وبدأت أحركهما حتى رأيت أحد أصدقائى القدامى وهو يقود قاربه البخارى بجوارنا ، فناديت عليه فتوقف على مقربة منا ، وتهلل فرحاً بلقائى بطريق الصدفة هكذا ، وعرفته بصديقىّ جورج وهاريس فرحب بهما أيضاً ، وطلبت منه أن يسحب قاربنا بقاربه البخارى حتى نسعد بصحبته أطول وقت ممكن ، فرحب بذلك على مضض . وسحبنا نحو عشرة أميال ، ثم اعتذر بأنه يريد العودة، وتركنا وسط مجرى النهر .

وعندئذ قلت لجورج وهاريس أن الدور على أحدهما فى التجديف ، لأنى كنت مكلفاً بالتجديف لمسافة ثلاثة أميال فقط ، وهأنذا قد أوصلتهما إلى أكثر من ثلاثة أمثال تلك المسافة مسحوبين بالقارب البخارى الذى يملكه صديقى . ولكنهما لم يقتنعا بوجهة نظرى هذه ، وأصرا على أن أجدف لمسافة الأميال الثلاثة المقررة ، فوافقت على ذلك بعد نقاش طويل استغرق نحو نصف ساعة .

وعلى بعد نحو نصف ميل لاحت لنا بلدة «جورينج» التى تقول النشرات السياحية انها خير مكان لممارسة رياضة صيد الأسماك على نهر التيمس . .

فرسونا على الشاطىء ، وقررنا أن نقضى بعض الوقت لمشاهدة هواة صيد الأسماك وهم يمارسون هذه الهواية .

وللأسف الشديد فمن المعروف أن معظم هواة صيد الأسماك يمارسون هواية أخرى هى «الهجص» والمبالغة فى الكذب الأبيض كنتيجة لممارسة هوايتهم الأصلية فى صيد الأسماك . . فترى الواحد منهم جالساً فى صبر غريب لمدة ست أو سبع ساعات كاملة ، ولا يظفر إلا بسمكة أو سمكتين فى حجم إصبع اليد ، ومع ذلك تراه فى اليوم التالى وهو يحادث الهواة الآخرين قائلاً انه اصطاد بالأمس عشرين سمكة من الحجم المتوسط وخمس عشرة سمكة من الحجم الكبير ، وسمكتين تزن كل واحدة منهما عشرين رطلا . . ويدعى بعض هواة الصيد الكذابين انهم اصطادوا سمكة كبيرة من أسماك «الحفش» التى يستخرج منها البطارخ والكافيار وكان وزنها ستين رطلا وهكذا . .

ودخلنا أحد الفنادق الصغيرة الواقعة على شاطىء النهر ، وجلسنا فى صالة الفندق حيث شاهدنا صندوقاً زجاجياً بداخله سمكة كبيرة من أسماك السالمون تبدو محنطة بعناية . . وكانت تبدو جميلة إلى حد كبير فأخذنا نتأملها ونتجاذب أطراف الحديث عن هذا النوع من الأسماك ذات اللحم اللذيذ . ولاحظنا أن رجلاً وقوراً كان يجلس وحده فى المقعد المجاور لنا وينصت بامعان إلى حديثنا . . وفوجئنا به وهو يحكى لنا ـ بعد أن أشعل غليونه وشد منه عدة أنفاس متلاحقة ـ قصة اصطياده لتلك السمكة منذ نحو عشر سنوات وبضعة أيام ، وأن وزنها كان عشرين رطلاً . وقد اصطادها بالصدفة حين كان يجرب حظه فى الصيد فى مكان تحت

الكوبرى، وأن عملية اصطيادها لم تتجاوز ربع ساعة . . وانصرف الرجل بعد أن شكرناه على قصته المسلية ، وأبدينا له اعجابنا به كصياد ماهر .

ثم جاء أحد الحمالين بعد أن ترك عربته جوار باب الفندق وجلس بجوارنا ، ولاحظ الرجل على الفور اننا مهتمون بالحديث عن هذه السمكة الموضوعة فى الصندوق الزجاجى ، فتدخل فى حديثنا دون استئذان وقال أنه لا ينسى ذلك اليوم منذ ستة أعوام فى يوم ممطر . . وكان يمارس هوايته فى مكان على شاطىء النهر بجوار برج الساعة . . وفجأة اهتزت السنارة بشدة فتشبث بها حتى لاينجرف ويسقط فى مجرى النهر ، وظل يقاوم السمكة ويجذبها إلى الشاطىء حتى فاز بها فى النهاية . وكان وزنها أربعة وثلاثين رطلاً بالتمام والكمال . . وانصرف الحمال بعد أن ألقى فى اسماعنا هذه الكذبة .

وبينما كنا نفيق من دهشتنا لقدرة هؤلاء الهواة على الهجص ، إذا بنا نفاجأ برجل فى الستين من عمره وله شارب كثيف يجلله الشيب . وسألنا : هل أعجبتكم طريقة تحنيط هذه السمكة ! . . فأخبرناه أن التحنيط دقيق للغاية لأنه احتفظ بالألوان الطبيعية للسمكة حتى الآن . وفوجئنا بالرجل يحكى لنا قصة عملية تحنيط السمكة التى قام بها فى صالة هذا الفندق ، بل فى نفس المكان الذى نجلس فيه الآن . . وأنه قام بتحنيطها بعد أن اصطادها من النهر حين كانً يمارس هواية الصيد فى نفس المكان . وكان ذلك منذ ثلاثة وعشرين عاماً وخمسة شهور وأربعة أيام بالضبط . . وحيانا الرجل منصرفاً وهو يشعر بفخر شديد .

وبطبيعة الحال أخذنا نسخر من حكايات هؤلاء الصيادين الهجاصين

وأقاصيصهم الكاذبة . . وسمعنا صاحب الفندق فأخذ يشاركنا الضحك والسخرية بهؤلاء الكذابين . . وفى النهاية قال لنا صاحب الفندق بثبات غريب : إن معظم أهالى هذه البلدة ما أن يروا أى غرباء فى الفندق حتى يصبوا أكاذيبهم فى آذانهم . . وكلهم يدعون أنهم هم الذين اصطادوا هذه السمكة ، ولكنهم لايجسرون على التحدث مع الغرباء أمامه ، لأنهم يعلمون أنه هو الذى اصطاد هذه السمكة منذ خمس سنوات وهو الذى قام بتحنيطها !

وقد ازداد اعجابنا وتعجبنا من هذه السمكة التى يدعى الكثيرون انهم اصطادوها وحنطوها . . ومن شدة إعجاب جورج بهذه السمكة ، فقد صعد فوق مقعد وأخذ يتأملها فى صندوقها الزجاجى عن قرب ، وفجأة اختل توازنه فوق المقعد وأوشك على السقوط ، فأمسك بأطراف الصندوق الزجاجى فسقط هو والمقعد والصندوق على الأرض ، وفوجئنا بأن السمكة قد تحطمت هى الأخرى إلى نحو تسعمائة قطعة . . فقد كانت عبارة عن تمثال ملون من الجبس صنع فى باريس !

● وهكذا انتهت رحلتنا على خير أو ما يشبه الخير ، وبدأنا رحلة العودة إلى لندن . . ومر اليوم الأول بسلام ، ولكن الأمطار بدأت تهطل بغزارة شديدة فى اليوم التالى . . ويعرف جميع الذين جربوا التجديف فى القوارب النهرية أن التجديف أمر شاق حين يكون الجو صحواً . . أما عندما تهطل الأمطار بهذه الغزارة فإن التجديف يصبح العذاب بعينه .

وفجأة توقف جورج عن التجديف وألقى علينا قنبلة مذهلة . . فقد قال بكل حنان ومع كثير من الاصرار : اسمعوا يا أصدقائى . . اننا الآن بالقرب

من محطة بانجبورن ، ويمكننا اللحاق بالقطار الذى يتحرك فى الساعة الخامسة إلى لندن .. فما رأيكم فى أن نترك هذا القارب لدى حارس القوارب، ونأخذ القطار حيث يمكننا أن نصل إلى لندن فى جو دافىء وجاف ومريح .. ونستطيع أن نقضى أمسيتنا فى مسرح الهمبرا ، ثم نتناول عشاءً فخماً فى أحد المطاعم قبل أن نعود إلى البيت ؟!

لم يتكلم أحدنا أو يفتح فمه .. بل أخذنا نلم حاجياتنا بهمة ، وكانت جميعها مبللة بماء المطر .. وحملناها فوق أكتافنا المبللة ، وتوقفنا على رصيف المحطة فى انتظار القطار الذاهب إلى لندن .

وهكذا انتهت رحلتنا النهرية الممتعة فى وقت مناسب .. وبطريقة مناسبة .. وبقيت ذكرياتها فى أدمغتنا ليحكيها كل منا بالطريقة التى تناسبه .. !

وليم شيكسبير

ترويض الشرسة

THE TAMING OF THE SHREW
BY : WILLIAM SHAKESPEARE

فى مدينة «بادوا» كان يعيش رجل ثرى اسمه «بابتستا» . . وكانت له ابنتان لم تتزوجا بعد . . الصغرى اسمها «بيانكا» وهى فتاة جميلة ورقيقة . . والكبرى اسمها «كاترين» ، وكانت معروفة فى المدينة باسم «كاترين الشرسة» لأنها كانت سليطة اللسان ، وحادة الطباع ، وتتكلم دائماً بصوت عالٍ فيه كثير من العجرفة .

وبسبب هذه الصفات فقد كان من الصعب ، أو ربما من المستحيل أن يتقدم أى شاب بطلب الزواج منها . . ومع ذلك فقد صمم والدها على رفض كل من يتقدم للزواج من ابنته الصغرى «بيانكا» . . وكان يقول دائماً : «لابد أن تتزوج كاترين أولاً قبل أن تتزوج بيانكا» .

وفى أحد الأيام وصل إلى مدينة «بادوا» رجل ذكى اسمه «بتروشيو» . . وهو شاب ينتمى إلى عائلة ثرية بمدينة «فيرونا» وكان يبحث عن زوجة مناسبة تتمتع بالجمال والثراء . . وسمع عن جمال وثراء «كاترين الشرسة» كما سمع أيضاً مايقال عنها من أنها فتاة متعجرفة حادة المزاج سريعة الغضب إلى غير ذلك من الصفات الأخرى التى عرفت بها . وبالرغم من ذلك قال «بتروشيو» لنفسه : «سأتزوجها بالرغم من كل هذه الصفات . . وأنا قادر على ترويضها حتى أجعل منها زوجة رقيقة مطيعة طيبة ! » .

كان «بتروشيو» يتمتع بشخصية قوية خفيفة الظل ، كما كان يتمتع أيضاً برجاحة العقل وصلابة الرأى والقدرة على التظاهر بالعنف والسلوك الخشن . . لذلك فقد قرر أن مثل هذا السلوك سيكون الطريقة المثلى للتعامل مع «كاترين الشرسة» والسيطرة عليها كزوجة .

وذهب «بتروشيو» إلى «بابتستا» ليطلب منه يد ابنته «كاترين» قائلاً : انه سمع الكثير عن جمالها ورقتها وطيب معشرها وسلوكها المهذب وتواضعها وطباعها الحسنة . . واندهش الأب طبعاً عندما سمع هذه الصفات عن ابنته الشرسة . . ولأنه كان شخصاً نبيلاً لا يحب الغش أو الخداع ، فقد اعترف «لبتروشيو» بكل صراحة وصدق ، أن ابنته «كاترين» لا تتصف بأية صفة من تلك الصفات التى ذكرها «بتروشيو» . . بل هى على العكس من ذلك تماماً .

وبينما كان الأب يتحدث مع هذا العريس الجديد ، دخل عليهما مدرس الموسيقى وهو فى غاية الانزعاج ، وشكا للأب من تصرف «كاترين الشرسة» التى ضربته على رأسه بالآلة الموسيقية بمجرد أن أبدى لها ملاحظة عن خطأ ارتكبته فى طريقة عزفها .

وبالرغم من أن «بتروشيو» قد سمع بأذنيه هذه الشكوى ، إلا انه صاح قائلاً بفرح وسرور : «كم هى فتاة ظريفة رائعة . . وأنا أحب الفتاة التى تتمتع بمثل هذه الشخصية القوية . . ليتنى أستطيع أن أتحدث معها الآن !» .

ثم قال لوالدها : «والآن يا سيدى . . إنى أريد أن أعود إلى مدينتى فيرونا لأنى مشغول بادارة الأراضى والعقارات التى ورثتها عن أبى . . وفى

حالة موافقتك على زواجى منها ، فأرجو أن تخبرنى بقدر المال الذى ستعطيه لابنتك كدوطة» .

اندهش الأب من هذا السلوك الخشن الخالى من الذوق لهذا العريس الذى يتقدم لطلب يد ابنته . . ومع ذلك فقد كان الأب يريد بالفعل أن تتزوج ابنته بهذا العريس «اللقطة» الذى تجاسر على طلب يدها بالرغم من كل ما تتصف به من شراسة . ولذلك فقد قال للعريس يطمئنه بأنه سيعطيها ألفى كراون كدوطة بالاضافة إلى نصف أملاكه كميراث لها بعد وفاته .

ووافق «بتروشيو» على هذا العرض ، وتم الاتفاق بينه وبين الأب على هذا الزواج الغريب . . وقام الأب ليخبر ابنته بأمر هذا العريس الجديد ، وليستدعيها لمقابلته .

وبمجرد خروج الأب من الحجرة ، بدأ «بتروشيو» يعد نفسه لهذا اللقاء . . وقال بينه وبين نفسه : « يجب أن أتماسك وأتظاهر بالصبر . . فإذا كلمتنى بغضب وشراسة ، فسوف أقول لها أن كلماتها لطيفة وصوتها كتغريد الطيور . . وإذا ظهر الغضب والشراسة فى ملامح وجهها ، فسوف أقول لها أنها أجمل من صفاء الورود حين تبللها قطرات الندى . . وحتى إذا طردتنى فسوف أثنى عليها وسأشكرها » .

وعندما دخلت «كاترين» إلى الحجرة بادرها «بتروشيو» قائلاً : أهلاً بك يا «كات» !

اشمأزت «كاترين» من هذا الأسلوب وقالت : إن من يريد أن يخاطبنى عليه أن ينادينى باسم «كاترين» !

قال «بتروشيو» : لا يا آنستى الجميلة . . أنا أعرف أن الجميع ينادونك باسم «كات الجميلة» . . أو «كات الرقيقة» . . وأحياناً ينادونك باسم «كات الشرسة» . . وأنت فى نظرى يا آنستى أجمل «كات» فى هذه الدنيا . . وعندما سمعت عن رقتك وطيبتك وجمالك . . جئت فى طلب يدك لأنى اعتبرتك أصلح زوجة !

لم تهتم «كاترين» بهذا الكلام . . بل وأخذت تشرح له متحدية كيف استحقت بجدارة لقب «كاترين الشرسة» . . ولكن «بتروشيو» واصل غزله فيها بكلمات معسولة وأخذ يضفى عليها كل الصفات الطيبة . وعندما سمع وقع أقدام والدها وهو يقترب من الحجرة ، قال لها على الفور أن عليهما أن يتوقفا عن هذا الكلام . . وأخبرها بأن والدها قد وافق على زواجه منها . . وأنه سوف يتزوجها سواء قبلت هذا الزواج أو رفضته . . سواء برضاها أو بدون رضاها .

ودخل الأب إلى الحجرة فقال له «بتروشيو» أن «كاترين» استقبلته بلطف وغاية الرقة . . وانها وافقت على الزواج منه يوم الأحد القادم !

ولكن «كاترين» قالت لوالدها أن كل ما قاله «بتروشيو» كذب وافتراء . . وانها لا توافق على الزواج من هذا الشاب المجنون . . وأنها تتمنى أن تراه مشنوقاً يوم الأحد القادم !

وعندئذ قال «بتروشيو» لأبيها : لا تهتم يا سيدى بهذا الكلام الذى قالته «كات الجميلة» . . لقد وافقت على زواجى منها . . واتفقنا على أن تتظاهر هى بعدم الموافقة على الزواج أمامك . . ولكنها استلطفتنى وأعجبت بى وقالت انى خير زوج يصلح لها . . والآن يا سيدى عليك أن تدعو الضيوف

الذين سيحضرون الاحتفال بعقد القران يوم الأحد القادم . . وسوف أسافر فوراً إلى مدينة «فينيسيا» لأشترى لعروستى الجميلة أفخر الثياب والمجوهرات لكى تبدو فى أبهى جمالها فى حفل عرسها . . إلى اللقاء يا سيدى . . إلى اللقاء يا «كات» . . موعدنا فى الأحد القادم !

• • •

وفى يوم الأحد ، تجمع كل الضيوف الذين دعاهم «بابتستا» لحضور حفل عقد القران والزفاف ، وانتظر الجميع طويلاً ولكن العريس لم يحضر ولم يظهر له أثر . . وانخرطت «كاترين» فى البكاء بعد أن اعتقدت أن «بتروشيو» كان يسخر منها ومن أبيها ومن كل المدعوين لحضور الحفل . . وأخيراً ظهر العريس المنتظر . . ولكنه لم يحضر معه أى شيء من المجوهرات والملابس الفاخرة التى وعد بها ، بل كان هو نفسه يرتدى ملابس غريبة لا تليق بمناسبة الاحتفال بزواجه . . وكان خادمه أيضاً يرتدى ملابس فقيرة . . كما كان الحصانان اللذان كانا يركبانهما ضعيفين هزيلين !

طلب منه البعض أن يغير ملابسه ويرتدى ملابس نظيفة تليق بحضور حفل الزفاف ، ولكنه رفض ذلك الطلب بشكل قاطع وقال أن «كاترين» ستتزوجه هو ولا تتزوج ملابسه .

وعندما وصل الجميع إلى الكنيسة لعقد القران ، تمادى «بتروشيو» فى التظاهر بالجنون . . وعندما سأله القسيس : هل يوافق على زواجه من «كاترين» ؟ . . أجابه بصوت مرتفع وأخذ يصرخ : نعم . . نعم !

اندهش القسيس طبعاً من هذا السلوك الغريب ، وكاد أن يسقط على الأرض خوفاً من هذه التصرفات الشاذة . . ومع ذلك فقد واصل القيام

باجراءات الزواج ، بينما كان «بتروشيو» يصرخ بأعلى صوته ويدب على الأرض بقدميه ، وفى الوقت نفسه كانت «كاترين» ترتعش من شدة الاضطراب والقلق والخوف .

وبعد انتهاء مراسم عقد القران ، توجه الجميع نحو بيت «بابتستا» لحضور الحفل الفخم الذى أقامه لهذه المناسبة ، ولكن «بتروشيو» تمادى فى التظاهر بالجنون ، وأقسم أنه لن يحضر الحفل ، وأن عليه أن يأخذ زوجته إلى بيته فى مدينة «فيرونا» . . وأنه لن يستمع إلى أى أحد يعارضه فى هذا القرار، لأنه حر مع زوجته التى أصبح عليها أن تطيعه طاعة عمياء .

وكان «بتروشيو» قد أحضر معه حصاناً ثالثاً فى غاية الضعف والهزال ، انتقاه خصيصاً لتركبه زوجته «كاترين» . . وامتطى هو وخادمه حصانيهما الهزيلين الآخرين . . وانطلقوا فى رحلة العودة إلى «فيرونا» عبر طرق وعرة غارقة فى الوحل والتراب المتخلف عن الطين الجاف . . وبعد رحلة طويلة شاقة ، وصلوا إلى البيت .

وكان «بتروشيو» قد وضع خطة لحرمان عروسه الجديدة من تناول الطعام أو اللجوء إلى الراحة بعد تلك الرحلة الشاقة ، وذلك تنفيذا للخطة التى وضعها لتهذيب زوجته الشرسة وترويضها . .

وعندما وصلوا إلى البيت أخذ يحادث زوجته «كاترين» بمنتهى الرقة وبكلمات تعبر عن حبه العميق لها . . وأمر الخادم باعداد طعام العشاء . . ولكن عندما جلست «كاترين» بجانبه تأهباً لتناول الطعام ، أخذ «بتروشيو» يسب الخدم ويلقى بأطباق الطعام طبقاً بعد طبق على الأرض قائلاً أن اللحم ليس مطهياً بطريقة جيدة تليق بعروسه الحبيبة .

كانت «كاترين» تشعر بقرصة الجوع وشدة التعب والاجهاد بعد قيامها بتلك الرحلة الطويلة ، فغادرت المائدة وهى تتحامل على نفسها وتكتم غيظها . . وتوجهت إلى غرفة النوم طلباً للراحة . ولكن «بتروشيو» اعتذر لها بكل الحنان والرقة أن الفراش ليس مرتباً كما ينبغى ، وأخذ يلقى بملاءات السرير والمخدات على الأرض ، ويصيح فى الخدم ليعنفهم على عدم الاعتناء بترتيب الغرفة لتليق بعروسه الحبيبة .

ومن شدة التعب ألقت «كاترين» بنفسها على أحد المقاعد الموجودة بغرفة النوم وحاولت أن تغمض عينيها ، ولكنها لم تستطع الدخول فى عالم النوم بسبب ارتفاع صوت زوجها وصياحه وتأنيبه للخدم .

وفى صباح اليوم التالى ، واصل «بتروشيو» تصرفاته هذه . . فعندما جلس مع عروسه لتناول طعام الإفطار ، ألقى بأطباق الطعام على الأرض مثلما فعل ليلة الأمس بأطباق طعام العشاء . . ويقول فى الوقت نفسه أنه فعل هذا بسبب حبه لزوجته واحترامه لها . . وانه يأبى أن يقدم إليها طعام غير جيد الصنع ولا يليق بمقامها .

وهكذا أصبحت «كاترين» المتعجرفة تشعر بانكسار النفس والمذلة بسبب احساسها بالجوع الشديد وعدم الراحة . وعندما توجهت إلى غرفتها استدعت أحد الخدم وطلبت منه أن يحضر إليها سراً أى طعام تطفىء به لظى جوعها . . ولكن الخادم اعتذر بأنه لا يستطيع أن يقدم لها أى شىء دون علم سيده . . وانهارت «كاترين» على مقعدها وهى تشعر بيأس ولا تدرى ماذا تفعل .

وهنا دخل عليها «بتروشيو» وهو يحمل بين يديه طبقا به قطعة صغيرة

جداً من اللحم وقال : والآن يا حبيبتى «كات» . . لقد طهيت لك هذا اللحم بنفسى لأؤكد لك حبى واحترامى وتقديراً لقدرك عندى . . لماذا لا تتكلمين ولا تشكرينى على هذا الصنيع ؟ . . يبدو أنك لاتحبين اللحم وضاع جهدى سدى . .

وطلب «بتروشيو» من أحد الخدم أن يأخذ طبق اللحم بعيداً . . ولكن «كاترين» طلبت من الخادم برقة وتواضع أن يترك الطبق على إحدى الموائد القريبة . . وعندئذ قال لها «بتروشيو» انها لن تستطيع أن تتناول هذا الطعام إلا بعد أن تشكره لأنه هو الذى أعده لها بنفسه . . ولم تجد «كاترين» بداً إلا أن تقول مستسلمة : شكراً لك يا سيدى !

وما أن تناولت «كاترين» قضمة صغيرة من قطعة اللحم الصغيرة ، حتى تقدم إليها «بتروشيو» وسحب الطبق من أمامها وهو يقول برقة : هل انتهيت يا حبيبتى من الأكل بهذه السرعة؟! . . وأعطى الطبق لأحد الخدم وهو يقول له : لقد انتهت سيدتك من تناول طعامها . . وخذ هذا الطبق بعيداً !

وقال لها بكلمات معسولة : والآن يا حبيبتى . . عليك بالاستعداد للقيام برحلة لزيارة بيت والدك . وسوف نذهب إلى هناك ونحن فى أبهى زينة . . لقد أمرت خياطاً وصانعاً للقبعات وجواهرجياً بالحضور إلى هنا لتختارى بنفسك ما يروق لك من ملابس فاخرة .

وعندما جاء صانع القبعات عرض قبعة فاخرة فرحت «كاترين» لرؤيتها . ولكن «بتروشيو» قال لصانع القبعات بطريقة جافة : إن هذه القبعة رديئة الصنع ولا تليق بزوجته الحبيبة ، وأمره بالانصراف .

وعندما دخل الخياط كان معه فستان جميل مصنوع من قماش فاخر . .

وابتهجت «كاترين» بهذا الفستان الحريرى الجميل المصنوع طبقا لآخر موضة .. ولكن «بتروشيو» قال للخياط بحدة : ان الفستان مصنوع من قماش ردىء وتصميمه ردىء أيضاً ولا يليق بزوجته الحبيبة ، وأمره بالانصراف .

وهنا لم تستطع «كاترين» أن تتحمل أكثر من ذلك ، فقالت : ان الفستان جميل ورائع كما أن القبعة كانت أيضاً جميلة ورائعة .. ولكن «بتروشيو» قاطعها قبل أن تكمل كلامها وقال انه يرى أن الفستان ردىء والقبعة رديئة .. وعليها أن تأخذ برأيه دون مناقشة .. وقرر أن يذهبا إلى زيارة بيت والدها وهما يرتديان نفس الملابس الفقيرة التى يرتدياها الآن .

ثم أمر «بتروشيو» باعداد الخيل للقيام بتلك الرحلة حتى يمكنهما الوصول إلى مدينة «بادوا» وقت تناول الغداء .. فقالت «كاترين» بكثير من الخضوع والاستسلام : ولكن الساعة الآن هى الثانية بعد الظهر ، وسنصل إلى «بادوا» وقت العشاء وليس فى وقت الغداء .

وعندئذ انفجر فيها «بتروشيو» قائلاً : لقد قلت اننا سنصل فى وقت الغداء .. وعليك أن توافقى على كل شىء أقوله .. ومادمت تعارضين قولى بهذا الشكل ، فلن نذهب لزيارة بيت والدك هذا اليوم .. وسوف أحدد وقتاً آخر لهذه الزيارة .

● ● ●

وهكذا أجبرت «كاترين» على الامتثال لكل ما يقوله زوجها .. وتدربت على طاعته طاعة عمياء دون أى نقاش ودون أن تجسر على المعارضة بأى شكل من الأشكال . ولذلك فقد سمح لها أخيراً أن تصحبه فى الرحلة لزيارة بيت أبيها .

وفى أثناء الطريق ، استمر «بتروشيو» فى ترويضها على طاعته . . وكانت «كاترين» توافقه على كل رأى يبديه . . إلا فى بعض أحوال قليلة كانت تبدى رأياً مخالفاً لرأيه فكان يغضب غضباً شديداً ويهددها بالعودة مرة أخرى إلى بيتهما وعدم اتمام الرحلة إلى «بادوا» . . فتضطر عندئذ إلى الاعتذار له وإبداء أسفها على ما قالت .

كانت الشمس ساطعة أثناء الرحلة ، وقال «بتروشيو» ليمتحن طاعتها أن القمر يغمر السماء بنوره الفضى . . وأشار إلى قرص الشمس . . فقالت «كاترين» إن الذى يضىء السماء الآن هو الشمس وليس القمر . . وعندئذ صرخ فيها «بتروشيو» قائلاً : لا . . أنا قلت أن هذا هو القمر وليس الشمس . . فاستسلمت «كاترين» وقالت : آسفة يا سيدى . . هذا هو القمر كما تقول . . فقال «بتروشيو» على الفور : أنت تكذبين . . كيف تقولين أن هذا هو القمر بينما هو الشمس . . ماذا جرى لعقلك ؟!

فقالت «كاترين» بانكسار : انه القمر أو الشمس أو أى شىء آخر تراه يا سيدى !

وعندما كانا يسيران بالقرب من غابة صغيرة ، شاهدا رجلاً عجوزاً كان فى الطريق إلى «بادوا» فخاطبه «بتروشيو» على انه آنسة جميلة ، وقال للرجل العجوز المتغضن الوجه : يوم سعيد ايتها الآنسة الجميلة الرقيقة ! . . وطلب من زوجته «كاترين» أن تخاطب هذه الفتاة بكلمات رقيقة طيبة . . وعلى الفور قالت «كاترين» مخاطبة الرجل العجوز : طاب يومك يا حلوة . . من المؤكد أن والديك سعيدان لانهما أنجبا بنتاً فى مثل جمالك .

عندئذ قال «بتروشيو» مستنكراً : ما هذا يا «كات» . . هل جننت أو

أصابك العمى ؟ . . هذا رجل عجوز طاعن فى السن . . فكيف تخاطبيه على أنه فتاة جميلة . . ؟!

وفى الحال اعتذرت «كاترين» الرجل العجوز على هذا الخطأ الذى ارتكبته فى حقه . . وطلبت منه بمنتهى الرقة أن يسامحها ويغفر لها . . وكان الرجل العجوز مندهشاً غاية الدهشة من تلك الطريقة الغريبة التى تحدث بها إليه كل من «بتروشيو» و«كاترين» . . ومع ذلك فقد قال لهما أن اسمه «فينسنتيو» . . وانه ذاهب إلى مدينة «بادوا» لحضور الاحتفال بقران وزفاف ابنه «لوسنتيو» على فتاة جميلة اسمها «بيانكا» ابنه «بابتستا» أحد أثرياء المدينة!

تعجب «بتروشيو» و«كاترين» من هذه المصادفة السعيدة ، وعرّفا الرجل العجوز بشخصيتهما . . وواصل الجميع الرحلة إلى «بادوا» . . وعندما وصلوا إلى بيت «بابتستا» وجدوه مزدانا بزينات الفرح حيث أقيم احتفال كبير بمناسبة زواج «بيانكا» من «لوسنتيو» . . !

● ● ●

بعد أن انتهى الجميع من تناول الطعام فى الوليمة التى أقيمت ، جلس «بتروشيو» زوج «كاترين» مع «لوسنتيو» زوج «بيانكا» و«هورتنسيو» زوج الابنة الثالثة «لبابتستا» . . وأخذ هذان الزوجان يتفاخران برقة زوجتيهما وسلوكهما الطيب . . وأخذا يسخران أيضاً بسلاطة لسان «كاترين» وشراسة طباعها . . بل وانضم إليهما «بابتستا» ساخراً من طباع «كاترين» وقال «لبتروشيو» : يبدو أنك سيىء الحظ يا «بتروشيو» . . فقد تزوجت أسوأ بناتى !

وفوجىء الجميع بأن «بتروشيو» يقول لهم بكل يقين وهدوء : فلنتراهن لأثبت لكم أن زوجتى «كاترين» أكثر طاعة وولاءً من زوجتيكما . . بل ومن كل زوجة أخرى فى هذه المدينة !

وافق الزوجان «لوسنتيو» و«هورتنسيو» على الرهان بعشرين كراون لأنهما كانا يعتقدان أن زوجتيهما أكثر طاعة من «كاترين الشرسة» . ولكن «بتروشيو» طلب رفع قيمة الرهان إلى مائة كراون . . وقال لهما أن يقوم كل زوج منهم بطلب حضور زوجته فوراً . . والزوجة التى تحضر على الفور تكون أكثر الزوجات طاعة وولاءً ويكسب زوجها الرهان .

وكان «لوسنتيو» أول من أرسل خادماً لاستدعاء زوجته «بيانكا» للحضور فوراً . . ولكن الخادم عاد بعد قليل ليقول : إن سيدتى «بيانكا» تقول انها مشغولة ولاتستطيع الحضور .

وجاء الدور على «هورتنسيو» فطلب من الخادم أن يذهب إلى زوجته «ويرجوها» الحضور فوراً لمقابلته . . وعاد الخادم بعد قليل ليقول : إن سيدتى تقول لك يا سيدى إنك تمزح . . وإذا كنت تريد مقابلتها فعليك بالذهاب إليها .

وهنا قال «بتروشيو» للخادم : إذهب إلى سيدتك «كاترين» وقل لها أن زوجها «يأمرها» بالحضور لمقابلته فوراً . .

واندهش الجميع عندما ظهرت «كاترين» وهى تحضر مسرعة وتقول لزوجها : تحت أمرك يا سيدى !

واندهشوا أكثر عندما قال لها «بتروشيو» : إذهبى يا «كاترين» واحضرى أختيك إلى هنا !



وفاقت دهشتهم كل حد عندما أحضرت «كاترين» أختيها فى أقل من دقيقة . . وكان أكثر المندهشين دهشة هو «بابتستا» الذى لم يصدق أن ابنته التى كانت أكثر الناس شراسة قد أصبحت مطيعة لزوجها إلى هذا الحد . . ولذلك فقد أعلن انه سيهبها عشرين ألف كراون أخرى فوق مخصصاتها التى منحها إياها من قبل ، مكافأة لها على هذا التحول الجميل الطيب فى سلوكها .

وقبل أن يفيق الجميع من دهشتهم قال «بتروشيو» لزوجته : كات . . إن قبعتك لاتعجبنى . . إخلعيها ودوسى عليها بقدميك ! . .

وعلى الفور خلعت «كاترين» قبعتها وألقت بها على الأرض وداست عليها بقدميها . . وعندئذ قالت «بيانكا» : هذه طاعة حمقاء ! . . وقالت زوجة «هورتنسيو» : من الحماقة أن أطيع زوجى على مثل هذا النحو . . !

وهنا انبرت «كاترين» لأختيها ، وأخذت تشرح لهما أن طاعة الزوجة وولاءها لزوجها أمر واجب يؤدى إلى زيادة محبة الزوج لزوجته ، ويجعل الحياة الزوجية أكثر هناءً وسعادة !

وهكذا أصبحت «كاترين» مشهورة فى مدينة «بادوا» ليس باسم «كاترين الشرسة» وإنما باسم جديد هو «كاترين الطيعة المحبة لزوجها» . . !

وليم شيكسبير

العاصفة

THE TEMPEST
BY : WILLIAM SHAKESPEARE

فى جزيرة نائية وسط البحر ، كان يسكنها الجن ولا يعيش فيها من البشر سوى رجل عجوز اسمه « بروسبرو» وابنته «ميراندا» التى كانت فى ميعة الصبا وعلى أبواب الشباب ، وتتمتع بقدر كبير من الجمال والبراءة .

كانت لدى «بروسبرو» مجموعة من كتب السحر ، تعلم منها كيف يتعامل مع الجن ويسخرهم لخدمته . . وعندما وصل إلى تلك الجزيرة لأول مرة ، لاحظ أن بعض أفراد من الجن كانوا محبوسين فى جذوع الأشجار الضخمة بأمر من ساحرة شريرة اسمها «سيكوراس» لأنهم لم ينصاعوا لأغراضها الشريرة .

وعلى الفور قام «بروسبرو» باطلاق سراح هؤلاء الجن الطيبين وحررهم من سجنهم البغيض ، لذلك فقد وضعوا أنفسهم فى خدمته اعترافاً منهم بهذا الجميل ، وكان على رأسهم جنّى طيب اسمه «آريل» .

● وفى أحد الأيام طلب «بروسبرو» من الجن أن يثيروا عاصفة هوجاء عاتية على إحدى السفن التى كانت تبحر بالقرب من شواطىء الجزيرة . . ووقف «بروسبرو» مع ابنته لمراقبة السفينة وهى تتعرض لتلك العاصفة الشديدة وتوشك أن تتحطم وتغرق بمن فيها .

ولأن «ميراندا» كانت فتاة طيبة ذات طلب رقيق ، فقد طلبت من أبيها أن يستغل قواه السحرية فى تهدئة العاصفة وانقاذ السفينة بما فيها من أرواح بريئة . . فأخذ «بروسبرو» يطمئن ابنته ذات القلب الرحيم ، وأخبرها بأنه طلب من الجن ألا يلحقوا أى أذى بركاب السفينة . . وأخبرها بأنه قد صنع هذه العاصفة العاتية من أجل خاطرها ولتحقيق مصلحتها وسعادتها فى المستقبل .

لم تفهم «ميراندا» من هذا الكلام شيئاً ، ولم تدرك ما سبب علاقتها بركاب السفينة التى تتعرض لهذه العاصفة العاتية . . ولذلك ـ ولأول مرة ـ بدأ أبوها . . يحكى لها أسراراً لم تكن تعلمها عن شخصيتها وعن حياتها الماضية . . قال «بروسبرو» :

ـ إن عمرك الآن يا ابنتى العزيزة خمس عشرة سنة . . وقد جئنا إلى هذه الجزيرة المنعزلة حين كان عمرك ثلاث سنوات . . وأنا يا ابنتى كنت ملكا على «ميلانو» وكنت أنت أميرة على تلك المملكة . . وكان لى أخ شقيق أصغر منى سناً واسمه «أنطونيو» . . وللأسف الشديد فقد وضعت ثقتى فى هذا الأخ وتركته ليدير شئون المملكة نيابة عني لأنى كنت منصرفاً إلى الثقافة وقراءة الكتب ، خصوصاً كتب السحر التى كانت هوايتى المفضلة .

غير أن أخى الشرير قد انتهز تلك الفرصة واستولى على مملكتى دون حق شرعى بعد أن تآمر مع عدوى ملك « نابولى» . . واستطاع الاثنان معاً أن يعزلانى عن عرشى ، ولكنهما خشيا أن يقتلانى خوفاً من ثورة شعب «ميلانو» الذى كان يحبنى باعتبارى الملك الشرعى للبلاد ، ولما أتمتع به من طيبة وعدالة .



لذلك فقد أمر أخى بعد أن استولى على عرشى بنقلنا ـ أنا وأنت ـ على ظهر سفينة خرجت إلى عرض البحر . . وهناك أنزلونا فى البحر على ظهر قارب صغير غير مجهز بأية مجاديف أو أشرعة ، وتركونا فى هذا الخضم الهائل دون أى أمل فى النجاة ، واعتقدوا أننا سنتعرض للموت والهلاك إن عاجلاً أو آجلاً .

ولكن أحد أصدقائى الطيبين من رجال بلاطى ، واسمه «اللورد جونزالو» كان قد وضع فى هذا القارب الصغير سراً ، كمية من الماء والطعام وبعض الملابس ، كما وضع فيه أيضاً بعض الكتب التى كنت أهوى قراءتها . . ولحسن الحظ جرفتنا أمواج البحر إلى تلك الجزيرة المنعزلة بعد أن نفد ما لدينا من طعام وشراب وكدنا نموت جوعاً وعطشاً .

ومرت على إقامتنا بتلك الجزيرة اثنتا عشرة سنة ، كنت أنت فيها كل سعادتى وبهجة حياتى . . وقمت بتعليمك بنفسى . . وأنا فخور بذكائك وعقلك الناضج وقلبك الطيب وعواطفك الرقيقة . . وكنت أشعر بأن ابتساماتك الجميلة الوضيئة تمنحنى القوة والشجاعة لأن أتحمل حظى العاثر ومصيرى التعس .

وهنا تساءلت «ميراندا» عن علاقة هذا كِله بالعاصفة التى أمر والدها بأن تهب على تلك السفينة . . فقال «بروسبرو» أن هذه السفينة تحمل على ظهرها أخاه الشرير «أنطونيو» وملك «نابولى» وابنه الأمير «فرديناند» وصديقه الوفى «جونزالو» . . وأن العاصفة ستجبر هؤلاء جميعاً على اللجوء إلى الجزيرة دون أن يتعرضوا لخطر الغرق فى البحر .

وفى أثناء ذلك الحديث بين «بروسبرو» وابنته «ميراندا» لاحظ «بروسبرو»

أن الجنى «آريل» قد وصل ليعطيه تقريراً مفصلاً عن العاصفة وما ترتب عليها من نتائج .

ولما كانت «ميراندا» لاتملك القوى السحرية التى تمكنها من رؤية الجن ، فقد خاف والدها أن تعتقد أنه قد جن ويتكلم فى الهواء مع شخص لا يُرى. ولذلك فقد قام «بروسبرو» بلمس ابنته بعصاه السحرية لمسة رقيقة ، فاستغرقت على الفور فى نوم عميق . . وبدأ الحديث بين «بروسبرو» والجنى «آريل» .

● قال الجنى « آريل» أنه قام بتنفيذ جميع أوامر «بروسبرو» طبقاً للخطة التى وضعها . . فقد اعتقد جميع من كانوا على ظهر السفينة من ركاب وبحارة أن السفينة غارقة لا محالة . . ولذلك فقد ألقوا بأنفسهم فى البحر طلباً للنجاة ، وتم انقاذهم جميعاً دون أن يلحق بأحد منهم أى أذى .

وقال «آريل» أيضاً أن الأمير «فرديناند» ابن ملك «نابولى» كان أول من قفز إلى البحر ليصارع أمواجه الصاخبة الثائرة ،واعتقد أبوه أنه قد غرق ومات . . غير أنه جالس الآن فى أحد أركان الجزيرة بعد أن تم انقاذه ، وهو يشعر بحزن عميق لأنه يعتقد أن أباه قد غرق مع بقية ركاب السفينة .

أما ملك «نابولى» و«أنطونيو» حاكم «ميلانو» غير الشرعى ، فقد تم انقاذهما مع الآخرين . . وهما جالسان الآن ويشعران بالحزن الشديد لاعتقادهما بأن الأمير «فرديناند» قد غرق ومات ، كما يندبان حظهما العاثر والمصيبة الكبرى التى أصيبا بها ووجودهما فى تلك الجزيرة المنعزلة التى لا يعيش فيها أحد .

وبعد أن قام «آريل» بتقديم هذا التقرير إلى «بروسبرو» طلب منه أن

يكافئه على قيامه بتلك المهمة باطلاق سراحه ليعيش حراً فى عالم الجان . . فوعده «بروسبرو» باطلاق سراحه ومنحه حريته بعد أن يستكمل مهمته بأداء بعض الخدمات الأخرى . . وذكره بأنه كان السبب فى اطلاق سراحه وفك سجنه حين كان حبيساً فى جذع شجرة ضخمة ويعوى مثل الذئاب ، وانه كان السبب فى تحريره من سيطرة الساحرة الشريرة «سيكوراس» .

وقال «آريل» انه غير ناكر لهذا الصنيع الجميل ، حين حرره «بروسبرو» من سجنه بداخل الشجرة . . وقال أن الساحرة الشريرة «سيكوراس» كانت تعيش فى «الجزائر» ولكنهم طردوها من هناك ليتخلصوا من أفعالها الآثمة الشريرة ، وتركوها وحدها فى تلك الجزيرة حيث سخرت بعض الجن الأشرار للقيام بما تطلبه منهم من أعمال توقع الشر والأذى فى حياة الناس . . ولكن بعض الجن الطيبين رفضوا طاعة هذه الساحرة ، فسجنتهم فى جذوع الأشجار حتى جاء «بروسبرو» وحررهم من هذا السجن اللعين . . فكيف ينسى «آريل» هذا الفضل العظيم . . ؟!

وهنا طلب منه «بروسبرو» أن يذهب لاحضار الأمير «فرديناند» لكى تراه ابنته «ميراندا» . . وعلى الفور ، ذهب «آريل» لتنفيذ هذا الأمر .

● وما أن وقعت عينا « فرديناند» على «ميراندا» حتى انبهر بجمالها ووقع فى غرامها من النظرة الأولى . . وعندما شاهدت «ميراندا» هذا الشاب النبيل ، وكان جميل الطلعة ، انجذبت إليه ووقعت فى حبه . . فقد كان هذا الشاب هو أول رجل تراه «ميراندا» بعد أبيها . . وكانت تظن من قبل أن جميع الرجال الذين تسمع عنهم ذوو لحى كثيفة وشعر أبيض مثل أبيها .

وتظاهر «بروسبرو» بأنه مشغول بالقراءة ، ولكنه كان يراقب ويتسمع

المناجاة العاطفية التى يتبادلها الشابان المتحابان بأرق وأعذب الكلمات . .
وعندئذ اطمأن «بروسبرو» وقال لنفسه :

ـ هذا ما كنت أريده بالضبط . . وسوف تصبح ابنتى ملكة «نابولى» . . !

وحتى يتأكد «بروسبرو» من صدق حب الأمير «فرديناند» لابنته «ميراندا»، كلفه بتنفيذ بعض الخدمات الشاقة ، فقام الأمير بتنفيذها عن طيب خاطر بالرغم من كل ما عاناه من تعب ومشقة .

● قام «بروسبرو» باستدعاء الجنى «آريل» مرة أخرى ، وطلب منه أن يقدم تقريراً عما فعله مع ملك «نابولى» وأخيه «أنطونيو» . . وقال «آريل» :

ـ انهما يندبان حظهما ، ويشعران بحزن شديد ويأس شامل . . وكانا يتجولان فى أحد جوانب الجزيرة للبحث عن أى شىء يؤكل أو أى ماء يشرب . . وقبل أن يصيبهما الجنون من شدة الجوع والعطش ، أعملت سحرى ووضعت أمامهما مائدة عامرة بأشهى أنواع الطعام . . فأصابتهما دهشة شديدة . . ولكن ما أن شرعا فى مد أياديهم لتناول الطعام حتى آخفيت المائدة فى لمح البصر ، وظهرت أمامهما فى صورة وحش كاسر رهيب يكشر عن أنيابه ، فأصابهما رعب وهلع عظيم وكادا يموتان من شدة الخوف .

ثم أطلقت صوتى كالرعد طالباً منهما أن يتذكرا الأفعال الشريرة التى قاما بها ضد «بروسبرو» ملك «ميلانو» . . وأن يتذكرا كيف أمرا بتركه هو وابنته الصغيرة «ميراندا» فى قارب بلا مجاديف ولا أشرعة فى عرض البحر ليموتا غرقاً . . وأخبرتهما بأن ما يلقياه الآن يعتبر جزاءً وفاقاً عما أتياه من ظلم «لبروسبرو» .

وأقول الحق يا سيدى انهما شعرا بأسف شديد ، وأبديا الندم عما فعلاه .. وقد شعرت انه ندم حقيقى وصادق .. وأرجوك يا سيدى أن تسامحهما وتصفح عنهما .

وعندى لك يا سيدى مفاجأة سعيدة ستدخل السرور إلى قلبك .. فقد أنقذت صديقك «اللورد جونزالو» ولم أعرضه لأى خوف أو أذى !

وعندئذ طلب «بروسبرو» من الجنى «آريل» أن يذهب فوراً لاحضار ملك «نابولى» وأخيه «أنطونيو» وصديقه «جونزالو» .

● وفى أقل من دقيقة مثل هؤلاء الثلاثة أمام «بروسبرو» ولم يتعرفوا عليه فى البداية .. وعندما قال «بروسبرو» «لجونزالو» : أهلاً بمنقذ حياتى ! .. تعرف عليه «جونزالو» فى الحال ، ورد عليه قائلاً : أهلاً بك يا مولاى !

وعندئذ أدرك «أنطونيو» وملك «نابولى» انهما أمام «بروسبرو» ملك «ميلانو» الشرعى ، والذى تآمرا عليه فى الماضى ..

وخر «انطونيو» راكعاً أمام أخيه ، وطلب منه الصفح والعفو والمغفرة بكلمات كلها أسف وندم ، بينما كانت الدموع تنهمر من عينيه من شدة التأثر ..

كذلك فقد أبدى ملك «نابولى» أسفه وندمه على مساعدته «لأنطونيو» عندما اغتصب عرش أخيه .. وطلب من «بروسبرو» أن يقبل اعتذاره وأسفه .

كما وعد «أنطونيو» أخاه «بروسبرو» بأنه سيتخلى عن العرش المغتصب ليعود «بروسبرو» إلى عرشه الشرعى ملكاً على «ميلانو» .

وأمام كل هذا الندم والشعور بالأسف الذى أبداه كل من «أنطونيو» وملك «نابولى» قام «بروسبرو» بالعفو عنهما وطلب منهما أن ينسيا الماضى الحزين ويتذكرا المستقبل المشرق . . وقال لملك «نابولى» :

ـ عندى لك مفاجأة سيسعد لها قلبك !

وسحبه من يده إلى حيث كان ابنه الأمير «فرديناند» يلعب الشطرنج مع حبيبته «ميراندا» . . !

● وفى الحال تفجرت السعادة فى قلوب الجميع ، وانهمرت من أعينهم دموع الفرح . . فقد كانت المفاجأة حافلة بالمشاعر الجميلة المتدفقة ، بعد أن كان الملك يظن أن ابنه الأمير قد مات غرقاً ، وبعد أن كان الابن يظن أن أباه الملك قد هلك فى السفينة الغارقة . . فاذا بالأب وابنه يتقابلان ويحتضن كل منهما الآخر .

وبعد هذا اللقاء المؤثر تساءل ملك نابولى عمن تكون هذه الفتاة الرائعة الجمال والتى لم ير فى حسنها وجمالها فتاة مثلها . . فأجابه الأمير «فرديناند» فى خجل :

ـ انها «ميراندا» يا أبى . . بل الأميرة «ميراندا» ابنة «بروسبرو» ملك «ميلانو» الشرعى . . وقد اخترتها زوجة لى ، وأعطتنى هى شرف قبولها لأن تكون زوجتى ، كما شرفنى أبوها بموافقته على هذا الزواج . . وأرجوك يا أبى أن تصفح عنى لأنى أقدمت على هذا الزواج دون الحصول على إذنك ، فقد كنت أظن أنك غرقت مع السفينة الغارقة .

وهنا قال « بروسبرو » مفاجأته الأخيرة التى أسعدت الجميع حين سماعها :

ـ ان سفينتكم أيها السادة لم تغرق ومازالت سليمة وقادرة على الإبحار بكفاءة عالية ، كما أن جميع بحارتها جاهزون الآن على ظهرها بعد أن تم انقاذهم جميعاً دون أن يلحق بهم أى ضرر . . وغداً سنبحر جميعاً عائدين إلى الوطن .

● وفى صباح اليوم التالى ، قام «بروسبرو» بدفن كتب السحر وعصاه السحرية فى أرض الجزيرة ، لأنه لم يعد فى حاجة إلى ممارسة السحر بعد أن عادت الأمور إلى أوضاعها السليمة . . وبعد أن وعد ملك «نابولى» بأنه سيقيم احتفالات فخمة عظيمة عند وصولهم إلى «نابولى» بمناسبة إعلان زفاف ابنه الأمير « فرديناند» على الأميرة «ميراندا» ابنة ملك «ميلانو» .

ثم قام «بروسبرو» بعد ذلك باطلاق سراح الجنى الطيب «آريل» ليعيش حراً طليقاً فى عالم الجان ، يحلق فى فضاء الكون أو فى هواء الأرض مثل طائر برى لا يراه أحد .

ومع ذلك فقد طلب «آريل» من «بروسبرو» أن يسمح له بالتحليق فوق السفينة عند ابحارها ليرشدها إلى أقرب طريق صحيح إلى الوطن .

وهكذا أقلعت السفينة فى نهاية الأمر . . وعليها قلوب تنبض بالحب والسعادة . . !

وليم شيكسبير

عطيل

OTHELLO
BY : WILLIAM SHAKESPEARE

فى مدينة فنيسيا «البندقية» بايطاليا ، كان يعيش «برابانتيو» وهو رجل واسع الثراء ، وعضو مجلس الشيوخ بتلك المدينة التى ازدهرت فيها الحياة وتمتع أهلها بالثراء والسطوة والنفوذ .

وكانت له ابنة جميلة اسمها «ديدمونه» . . وهى شابة رقيقة الطباع ، حميدة الصفات ، لذلك فقد كانت مطمعاً لشبان كثيرين من أثرياء المدينة ونبلائها . . كانوا يتوددون إليها لعل أحدهم يفوز بحبها وتقبله زوجاً لها .

ولكن «ديدمونه» لم يكن يهمها كثرة المعجبين بها ، ولم تشعر بأى ميل نحو أى واحد من هؤلاء الشبان المعجبين . . ولم يلن قلبها إلا لرجل مغربى أسود ، كان أبوها معجباً به غاية الاعجاب ، وكان يدعوه دائماً لزيارته فى بيته .

وكان هذا المغربى الأسود جندياً شجاعاً اسمه «عطيل» . . وكان يعمل فى الجيش التابع لحكومة فنيسيا ، وعرف ببسالته و إقدامه وتفوقه فى جميع المعارك الحربية التى خاضها جيش فنيسيا ضد الجيش التركى . ولذلك فقد أصدرت الحكومة أمراً بترقيته إلى رتبة قائد وأصبح بالتالى محلاً لتقدير واحترام الحكومة وأهل المدينة جميعاً .

كان «عطيل» بحكم طبيعة عمله ومنذ نشأته الأولى كثير السفر

والترحال، وقد أكسبته أسفاره العديدة كثيراً من التجارب والخبرات لا أول لها ولا آخر . . وكانت «ديدمونه» مولعة بسماعه عندما يحكى ما صادفه فى تلك الأسفار من عجائب وغرائب ومغامرات . . فكانت تطلب منه أن يستطرد فى حكاياته وأن يذكر لها كل التفاصيل مهما كانت صغيرة .

وكان «عطيل» يلبى طلباتها بكل ترحاب ، فحكى لها عن تفاصيل المعارك الحربية التى خاضها . . والأخطار الجمة التى تعرض لها . . وكيف كان الموت يحيط به من كل جانب . . وكيف كان ينجو فى كل مرة . . وكيف أسره الأعداء فى إحدى المعارك وباعوه فى سوق العبيد . . ولكنه استطاع أن يهرب ويفلت من عار العبودية .

وحكى لها أيضاً عن جولاته فى الصحارى الواسعة . . حيث التلال الرملية الممتدة فى كل الآفاق . . وجولاته فى المناطق الجبلية حيث الجبال ذات القمم العالية ، والصخور الوعرة المدببة الأطراف ، والكهوف الواسعة المظلمة الممتدة فى بطن الجبل . . وجولاته فى المناطق الرعوية والغابات حيث تعيش شعوب متوحشة من آكلى لحوم البشر .

وفى كل زيارة كان «عطيل» يقوم بها حين يدعوه السناتور «برابانتيو» إلى بيته . . كانت «ديدمونه» تسرع إلى لقائه ، وتحرص على الاستماع إلى أحاديثه الشيقة وحكاياته المثيرة . . وتطلب منه المزيد من التفاصيل . وفى إحدى هذه الزيارات طلبت منه «ديدمونه» أن يحكى لها قصة حياته من بدايتها بكل ما كانت فيها من مراحل السعادة ومراحل الشقاء . .

وبدأ «عطيل» فى سرد تفاصيل حياته بحديث آسر بليغ . . وكانت «ديدمونه» تنصت بشغف إلى كل كلمة كان يقولها . . بل وكانت تذرف

دموع عينيها عندما كان «عطيل» يتعرض إلى مواقف صعبة أو حزينة فى قصة حياته العريضة .

ولاحظ «عطيل» من اهتمام «ديدمونه» وولعها بسماع قصة حياته ، انها تضمر له فى قلبها حباً عميقاً ولكنها لا تستطيع أن تبوح به ، فتجرأ هو وفتح هذا الموضوع الحساس ، وباح لها بحبه وأن أقصى أمل فى حياته أن تقبله زوجاً لها ، بالرغم من الفروق الاجتماعية التى تجعل مثل هذا الزواج صعباً إن لم يكن مستحيلاً على الإطلاق . . باعتبارها سليلة إحدى الأسر النبيلة فى فنيسيا ، وباعتباره شخصاً عادياً من المغاربة السود .

وتداول الحبيبان فى كيفية التغلب على هذه المعوقات التى قد تحول بين زواجهما . . ولم تكن هناك أية طريقة أخرى ، سوى أن يتفقا على أن يتم زواجهما سراً . . !

● ● ●

كان السناتور «برابانتيو» يأمل فى أن تتزوج ابنته بأحد الفرسان النبلاء الذين كانوا يتوددون إليها ويتمنون الفوز بها ، ولذلك فقد صدم صدمة هائلة حين علم بأنها قد تزوجت «عطيل» سرّا ودون إذنه . . واقتنع بأن «عطيل» قد استولى على قلب «ديدمونه» بطريق السحر الذى لولاه ما كانت تستسلم له أو تقبل الزواج من هذا الأجنبى المغربى الأسود .

وكانت ممارسة السحر فى ذلك الزمن جريمة يعاقب مرتكبها بالإعدام . ولذلك فقد رأى السناتور «برابانتيو» أن توجيه تهمة السحر إلى «عطيل» تؤدى إلى إعدامه ، وتؤدى بالتالى إلى التخلص من المشكلة التى أوقعته فيها ابنته

. . وعلى هذا الأساس قدم «برابانتيو» شكواه إلى مجلس الشيوخ بمدينة فنيسيا لمحاكمة «عطيل» والحكم بإعدامه .

غير أن حكومة فنيسيا فى ذلك الوقت كانت فى حاجة ماسة إلى خدمات عطيل باعتباره قائداً للجيش . . فقد وصلت أخبار تفيد بأن الاتراك قد جهزوا سفنا كثيرة وضخمة وخططوا لغزو جزيرة قبرص التى كانت تابعة فى ذلك الوقت لحكومة فنيسيا . . ولهذا فقد قررت الحكومة أن «عطيل» هو خير قائد يتصدى بجيشه للغزو التركى دفاعاً عن الجزيرة .

ولذلك فقد تم استدعاء «عطيل» ليمثل أمام مجلس الشيوخ لأمرين : الأمر الأول تكليفه بقيادة الجيش المدافع عن جزيرة قبرص . . والأمر الثانى هو بحث تهمة ممارسة السحر التى يتهمه بها السناتور «برابانتيو» الذى أخذ يشرح دعواه ويقدم أدلته وبراهينه أمام أعضاء المجلس .

ودافع «عطيل» عن نفسه دفاعاً مجيداً . . وأخذ يشرح لأعضاء المجلس قصة الحب العفيف الذى ربط بين قلبه وقلب حبيبته «ديدمونه» . . وقال أن الحب العظيم لاتقف أمامه أية عوائق اجتماعية ، ولا يعرف التفرقة بين الأحبة بسبب الجنسية أو لون البشرة . . وقال أن «ديدمونه» أحبته حباً صادقاً بسبب اعجابها برجولته وشهامته وصدقه ونبل أخلاقه . . وأن علاقته بها كانت منذ البداية علاقة شريفة عفيفة لا تضليل فيها ولا خداع . .

وحضرت «ديدمونه» بنفسها أمام المجلس . . واعترفت بأنها أحبت زوجها «عطيل» بكامل حريتها ورغبتها وارادتها . . واعتذرت لأبيها لأنها لم

تستأذنه فى أمر زواجها لأنها كانت تخشى أن يرفض هذا الزواج رفضاً قاطعاً ، وطلبت من أبيها أن يصفح عنها ويبارك زواجها من «عطيل» .

وعندما استمع أعضاء مجلس الشيوخ إلى هذا الاعتراف الصريح من جانب «ديدمونه» وهذا الدفاع المجيد من جانب «عطيل» أصدروا قرارهم بتبرئة «عطيل» من تهمة السحر ، كما أصدروا قراراً آخر بتكليف «عطيل» مهمة قيادة الجيش المدافع عن جزيرة قبرص .

وهكذا عفا السناتور «برابانتيو» عن «عطيل» وبارك زواجه من ابنته . . كما طلبت «ديدمونه» من زوجها أن يصحبها معه فى رحلته إلى قبرص .

● ● ●

وعند وصل الجيش إلى أرض جزيرة قبرص ، وصلت أنباء مؤكدة بأن عاصفة عاتية هبت على السفن التركية فأغرقت الكثير منها وشتتت باقيها ، وهكذا لم تنشب الحرب ، وأصبحت قبرص جزيرة آمنة من أى هجوم محتمل .

غير أن حرباً من نوع آخر قد نشبت واشتعل أوارها . . وهى حرب شنها أعداء «عطيل» والحاقدون عليه . . وعلى رأسهم ضابط لئيم مخادع اسمه «ياجو» .

وتبدأ حكاية تلك الحرب بأن «عطيل» قد اصطفى من بين ضباط جيشه ضابطاً شاباً من مدينة «فلورنسا» اسمه «ميشيل كاسيو» . . وقد حاز هذا الضابط ثقة «عطيل» وزوجته «ديدمونه» وأصبح بـ لتالى صديقاً مقرباً لهما . . وأصدر «عطيل» أمره بترقية الضابط «كاسيو» إلى رتبة أعلى ، الأمر الذى أثار

غيرة وحسد الضابط الشرير «ياجو» الذى كان يكره «عطيل» ويكره «كاسيو» كراهية شديدة ، وكان يعتبر نفسه أحق بهذه الرتبة التى منحت «لكاسيو» . . وكان يقول دائماً ان «كاسيو» لايعرف شيئاً من فنون الحرب وكل ما يجيده هو ملاطفة النساء بأحاديثه الناعمة .

وهكذا دبر «ياجو» مؤامرة خبيثة ، هى إثارة الغيرة بين «عطيل» و«كاسيو» . . فإذا اشتعلت نار الغيرة بينهما فقد ينتهى الأمر بموت «كاسيو» أو موت «عطيل» أو موتهما معاً إذا دبرت المؤامرة باحكام ونفذت بدقة .

● ● ●

وضع «ياجو» خطته الشريرة لتنفذ على مراحل . . وكانت المرحلة الأولى هى إيقاع «كاسيو» فى خطأ يفقده منصبه الجديد ورتبته العالية التى حصل عليها .

وانتهز «ياجو» فرصة احتفال الجنود وأهالى الجزيرة عندما جاءتهم أخبار غرق السفن التركية وتشتتها ، فأوعز إلى «كاسيو» أن يشرب كثيراً من الخمر أثناء توليه نوبة الحراسة . . ويعتبر شرب الخمر اثناء القيام بالخدمة العسكرية جريمة كبرى لها عقوبة مقررة فى القانون العسكرى .

وفى الحقيقة رفض «كاسيو» أن يشرب الخمر فى البداية ، ولكن تحت إلحاح «ياجو» بدأ يشرب كأساً وراء كأس ، ثم زجاجة وراء زجاجة ، حتى فقد وعيه واتزانه وأصبح لايعى ما يقول . . وأصبحت الكلمات ينطق بها لسانه دون ضابط ولا رابط ، واستدرجه «ياجو» إلى الحديث عن «ديدمونه» زوجة «عطيل» ، فقال «كاسيو» انها أجمل امرأة فى العالم ، وانها عذبة الحديث وذكية لماحة .

وبعد أن انصرف «ياجو» أرسل شخصاً مسلحاً ليفتعل عراكا مع «كاسيو» . . وحدث شجار فعلى استخدمت فيه السيوف . . وتدخل آخرون لفض الشجار وعمّت الفوضى فى أرجاء المعسكر . . وعندئذ أمر «ياجو» بأن تدق أجراس المعسكر للانذار بأن الجنود قد تمردوا . . أو أن شيئاً خطيراً قد حدث .

استيقظ «عطيل» من نومه مذعوراً عندما سمع تلك الأجراس ، وارتدى ملابسه فوراً واتجه إلى موقع الأحداث ليعرف حقيقة الأمر . ولكنه لاحظ أن «كاسيو» كان سكرانا . . فأمر على الفور باعفائه من منصبه الجديد ، وتجريده من الرتبة العسكرية العالية التى حصل عليها .

وبذلك نجحت المرحلة الأولى من الخطة الشريرة التى وضعها «ياجو» وبدأ يدبر المرحلة الثانية من تلك الخطة . . فذهب إلى «كاسيو» ليواسيه فى حزنه على فقد منصبه ورتبته . . وتظاهر بالاخلاص الشديد نحو «كاسيو» وهو يقدم إليه نصيحة ادعى بأنها كفيلة بأن تعيده إلى منصبه ورتبته ، كما تجعل «عطيل» يتساهل ويعفو عنه .

وكانت النصيحة هى أن يذهب «كاسيو» إلى «ديدمونه» ويتوسل إليها لكى تشفع له عند زوجها ، ولاشك أن «عطيل» لن يرفض لزوجته طلبا ، وسوف يصدر أمره بالعفو عن «كاسيو» وإعادته إلى منصبه ورتبته . . وبالرغم من أن هذه النصيحة تبدو طيبة فى الظاهر ، إلا أن «ياجو» كان يريد أن يحقق من ورائها أغراضاً خبيثة !

● ● ●

وهكذا ذهب «كاسيو» إلى «ديدمونه» لكى يرجوها أن تتوسط له لدى

زوجها لكى يعفو عنه ويعيد النظر فى عقوبة عزله من الرتبة ، وبطبيعة الحال فقد قبلت «ديدمونه» أن تقوم بهذه الخدمة إرضاء «لكاسيو» الذى كانت تعتبره صديقاً للعائلة .

وبالفعل طلبت «ديدمونه» من «عطيل» أن يعفو عن «كاسيو» الذى وصفته بأنه شاب رقيق طيب وصديق حميم مخلص . . وكانت تتحدث عنه بكلمات تذوب رقة وعذوبة ، ووصفت الخطأ الذى ارتكبه بأنه خطأ بسيط لا يستحق هذه العقوبة الشديدة . . وبدأ «عطيل» يلين أمام رجاء زوجته بالرغم من انه ذكرها بأن الخطأ الذى ارتكبه «كاسيو» يعتبر من الناحية العسكرية خطأ جسيماً يستحق هذه العقوبة ، ومع ذلك وعدها بأنه سيعفو عنه فى الوقت المناسب . . ولكنها أصرت على أن يعفو عنه فوراً فى هذه الليلة أو فى صباح الغد على أكثر تقدير .

• • •

وفى صباح اليوم التالى ، بدأ «ياجو» المرحلة الثالثة من خطته الخبيثة التى تتسم بالغدر والنذالة . . فأخذ يلمح «لعطيل» بكلام غامض عن وجود علاقة ما بين «كاسيو» و«ديدمونه» . . وأنها تهتم بأمره اهتماماً زائداً عن الحد المعقول ، وهذا التصرف من جانبها لايليق بها كزوجة من واجبها أن تحافظ على مشاعر زوجها . . وهكذا أخذ «ياجو» ينفث سمومه بالتلميح دون التصريح حتى اشتعلت نار الغيرة فى قلب «عطيل» وكادت أن تحطمه تحطيماً . . وبدأ يشك فى كل تصرف تقوم به زوجته ، وفى كل كلمة تقولها .

وواصل «ياجو» خطته الخبيثة بكلامه الغامض الذى يحمل أكثر من معنى . . وقال «لعطيل» انه أدرى منه بنساء فنيسيا . . لأنهن نساء بلده

ويعرفهن جيداً . . فهن ذكيات قادرات على التظاهر بعكس ما يفعلن فى الخفاء . . وقادرات أيضاً على أن يخدعن أقرب الناس إليهن . . وفى إمكانهن أن يتزوجن سراً من وراء آبائهن . . والمرأة التى تستطيع أن تخدع أباها تستطيع أيضاً أن تخدع زوجها وتخدع أى رجل آخر مهما كانت صلته بها .

وبالرغم من تلك التلميحات غير المباشرة فقد كان «ياجو» يختتم كلامه فى كل مرة بالثناء على «ديدمونه» ويقول بكل خبث ودهاء انها امرأة فاضلة ذات أخلاق عالية ، وهى بعيدة تماماً عن نوعية نساء فنيسيا ذوات الأوصاف غير الحميدة .

ولكن قلب «عطيل» كان يتمزق داخل صدره بعد أن أطاح الشك بعقله . . كان يفكر أحياناً فى أن زوجته بريئة من تلك التهمة ، ثم يفكر فى أحيان أخرى فى أنها زوجة خائنة تستحق الموت . . ثم يقول بينه وبين نفسه أن «ياجو» صديق مخلص وصادق فيما قال . . ثم يعود ويقول لنفسه أن «ياجو» كاذب شرير يريد الإيقاع بينه وبين زوجته الحبيبة . . !

ولم يحتمل «عطيل» الاستمرار فى تلك الحالة النفسية القاسية ، فأمر باستدعاء «ياجو» على عجل ، وما أن ظهر «ياجو» أمامه حتى أطبق على عنقه ، وهدده بالموت خنقاً إن لم يقدم على الفور دليلاً أكيداً على خيانة زوجته له . .

عندئذ قال «ياجو» بثبات : هل يذكر أن لدى «ديدمونه» منديلاً حريرياً مطرزاً بأشكال لثمار التوت . . ؟

قال «عطيل» : نعم . . فهذا المنديل الحريرى هو أول هدية أهديتها لها يوم زواجنا . .

فقال «ياجو» بخبث يعزز به موقفه : فى صباح هذا اليوم ، رأيت «كاسيو» وهو يجفف وجهه بهذا المنديل . . وعليك أن تفكر فى كيفية حصول «كاسيو» على هذا المنديل !

وهنا أرخى «عطيل» يديه عن عنق «ياجو» وذهب فوراً إلى حجرة زوجته .

● ● ●

كان «ياجو» الشرير قد طلب من زوجته «إيميليا» التى تعمل وصيفة لدى «ديدمونه» أن تسرق هذا المنديل خلسة من وراء سيدتها ، لأنه يريد أن يصنع لها منديلاً مثله ، على أن تعيد المنديل إلى «ديدمونه» فيما بعد . . ووضع «ياجو» هذا المنديل فى طريق «كاسيو» الذى أخذه وجفف به وجهه .

وعندما دخل «عطيل» إلى حجرة زوجته ، إدعى أنه مصاب بالصداع وطلب منها أن تحضر منديلاً ليربط به رأسه . فأحضرت «ديدمونه» على الفور منديلاً عادياً وهمّت بربط رأس زوجها . . ولكن «عطيل» طلب منها أن تربط رأسه بنفس المنديل الحريرى الذى أهداه لها يوم زواجهما .

وأخذت «ديدمونه» تبحث عن هذا المنديل دون جدوى ، لأنه سرق فى حقيقة الأمر . . وهنا انفجر «عطيل» غاضباً وقال ان هذا المنديل له قدرة سحرية ، وقد أهدته إلى أمه امرأة مصرية وقالت لها طالما احتفظت بهذا المنديل فسوف تحتفظين بحب زوجك لك . . وإذا فقدت هذا المنديل فسوف تفقدين حب زوجك وسيكرهك بنفس قدر حبه السابق .



وقال «عطيل» فى أسى : عندما أهديت لك هذا المنديل يوم زواجنا . . ألم أطلب منك أن تحافظى عليه كما تحافظى على عينيك . . ؟!

وقالت «ديدمونه» وقلبها يتمزق حزناً : نعم . . لقد قلت لى ذلك . . وأنا أذكره جيداً . . ولكنى لا أدرى كيف اختفى هذا المنديل من دولاب ملابسى . . ؟!

فى حقيقة الأمر كانت «ديدمونه» حزينة وكادت تموت من شدة ما كانت تعانيه من رعب وخوف . . فبعد أن علمت بالصفات والقدرات السحرية لهذا المنديل الذى فقدته ، خشيت بالتالى أن تفقد حب زوجها . . وخشيت أكثر أن يكرهها زوجها بنفس الدرجة التى كان يحبها بها فى السابق .

ومع ذلك فقد حاولت «ديدمونه» أن تتماسك وتستعيد رباطة جأشها . . وقالت لزوجها بنعومة ودلال انها تعتقد أن حديثه عن هذا المنديل المفقود محاولة من جانبه ليصرفها عن التحدث فى موضوع صديقهما «كاسيو» وضرورة العفو عنه و إعادته إلى منصبه ورتبته !

وما أن سمع «عطيل» اسم «كاسيو» يتردد على لسان زوجته ، حتى أصابته لوثة من الجنون وخرج من الحجرة هائجاً . . واعتقدت «ديدمونه» أن نوبة الغضب غير الطبيعى التى انتابت زوجها ربما تكون بسبب أنباء سيئة وصلته من فنيسيا . . أو بسبب بعض المشاكل فى الجيش الذى يقوده .

وبعد أن خرج «عطيل» من الحجرة ، شعرت «ديدمونه» بحالة من الحزن والارهاق الشديد بسبب كل هذه المتاعب التى حدثت تباعاً ، فطلبت من خادمتها أن تجهز لها الفراش ، واستغرقت فى نوم متقطع مضطرب .

● ● ●

وعاد « عطيل » إلى الحجرة وهو يضمر فى نفسه سوءاً . . لقد قرر أن يقتل زوجته جزاءً على الخيانة التى يظن أنها ارتكبتها .

ولكن لأنه كان يكن لها حباً عميقاً فى قلبه ، فقد انحنى ليقبلها قبلة الوداع قبل أن يقتلها .

استيقظت «ديدمونه» على أثر تلك القبلة الحانية ، واندهشت عندما وجدت الدموع تترقرق فى عينى «عطيل» الذى طلب منها أن تتلو صلواتها استعداداً للموت . .

بكت وهى تسأله عن الذنب الذى ارتكبته حتى تلقى هذا المصير التعس . . فأجابها بأنها زوجة خائنة . . خانته مع «كاسيو» . . وأعطته المنديل الذى كان قد أهداه لها . . وحاولت «ديدمونه» أن تثبت طهارتها وبراءتها من تلك التهمة الشنيعة . . وتوسلت إليه أن يستمع إلى دفاعها عن نفسها . . ولكن «عطيل» لم يعد قادراً ولا مستعداً لسماع كلمة واحدة . . فغطاها بملاءة السرير وكتم أنفاسها حتى أصبحت جثة هامدة !

وفى نفس اللحظة ، وصل «كاسيو» إلى البيت وهو مجروح ينزف دماً . . لأن «ياجو» أرسل إليه رجلاً ليقتله ، ولكن الرجل لم ينجح فى تنفيذ تلك الجريمة وأفلت هارباً . . ولكن «ياجو» قام بقتل هذا الرجل حتى لاينكشف أمر تلك الجريمة ودوره فيها . . وعثر فى جيب هذا الرجل المأجور على بعض خطابات تثبت بشكل قاطع أن «ياجر» هو المدبر الوحيد لتلك الجريمة ، وتحامل «كاسيو» على نفسه بالرغم من جروحه التى تسيل منها الدماء بغزارة . . وطلب من «عطيل» أن يسامحه ويعفو عنه بسبب جريمة شرب الخمر التى أدت إلى عزله من منصبه وتجريده من رتبته . . وتساءل

ببراءة هل تستحق هذه الجريمة أن يقوم «عطيل» بتكليف «ياجو» للقضاء عليه وقتله . . ؟!

عندئذ ، اكتشف «عطيل» كل خيوط المؤامرة الخبيثة الدنيئة التى دبرها «ياجو» ونجح فى تنفيذها . . واكتشف انه ظلم صديقه المخلص «كاسيو» . . وظلم زوجته المسكينة «ديدمونه» التى قتلت دون ذنب جنته .

ولم يجد «عطيل» لنفسه مناصاً ولا مهرباً . . فأمسك بسيفه وأغمده فى قلبه . . وسقط صريعاً جوار جثة زوجته البريئة .

وبطبيعة الحال فقد أخذ القانون مجراه . . وحوكم «ياجو» . . وحكم عليه بالاعدام جزاء على جريمته التى أدت إلى كل هذه الأحداث المؤسفة . .

وعندما وصل خبر موت «عطيل» إلى فنيسيا . . حزن الناس حزناً شديداً على موت هذا البطل الذى راح ضحية للغدر والخديعة والخيانة !

المؤلفون الذين ورد ذكرهم
فى هذا الكتاب

●● روبرت بولت ROBERT BOLT

● ولد عام ١٩٢٤ ويعتبر الآن واحداً من أشهر كتاب المسرح الانجليزى المحدثين ، مثل « هارولد بنتر » و « جون مورتيمر » .

● تتميز كتاباته الدرامية بالأسلوب الواقعى الذى أعاد المسرح الحديث إلى الأصول الدرامية التقليدية بعد أن انحسرت موجة مسرح العبث واللامعقول .

● كتب العديد من التمثيليات الإذاعية ذات المستوى الرفيع ، أشهرها تمثيلية « الملاّح الثمل » التى حازت شهرة عريضة لدى المستمعين ، كما كتب العديد من سيناريوهات الأفلام السينمائية الجادة وأشهرها فيلم « لورنس الصحراء » .

● أما كتاباته المسرحية فتتميز بكثرة الملاحظات التى يكتبها بين أقواس كإرشادات وتعليمات خاصة بالديكور وطريقة الإضاءة واستخدام الموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية . . وارشادات لكل من المخرج والممثل لطريقة نطق كلمات الحوار . كما تتميز مسرحياته أيضا ببناء درامى خاص تتداخل فيه عدة أساليب مختلفة للبناء الدرامى مثل استخدام الأسلوب الإذاعى والأسلوب التسجيلى .

● وفى مسرحية « رجل لكل العصور » نلاحظ انه استخدام عدة أساليب

للبناء الدرامى الذى تقوم عليه المسرحية التى تقع أحداثها داخل إطار تاريخى ، وتدور حول شخصية « سير توماس مور » التى أظهرها كانسان كامل .

وبالاضافة إلى التركيز على تلك الشخصية الرئيسية الفذة ، نرى المؤلف وهو يعرض بحواره الجذاب عدداً من الشخصيات الأخرى التى تشترك فى الأحداث التى أدت إلى النهاية المأساوية لسير توماس مور .

●●الدكتور طه حسين **Dr, TAHA HOSSAIN**

● ولد عام ١٨٨٩ فى قرية صغيرة بصعيد مصر تسمى « الكيلو » وتقع بالقرب من مغاغة بمحافظة المنيا ، وعاش حياة نشطة مثمرة استمرت نحوأربعة وثمانين عاماً أصبح خلالها عميداً للأدب العربى وصاحب الفضل العظيم فى تثقيف أجيال عديدة فى كل البلاد العربية من الخليج إلى المحيط ، إلى أن توفى إلى رحمة الله عام ١٩٧٣ .

● أصيب بمرض الجدرى حين كان طفلا فى الثالثة من عمره ففقد بصره، ومع ذلك فقد التحق بكُتَّاب القرية حيث تعلم مبادىء الحساب واللغة وحفظ القرآن الكريم . ثم التحق بالازهر عام ١٩٠٢ حين كان عمره ثلاثه عشر عاماً وظل يدرس به حتى عام ١٩٠٨ ، حين اتصل باستاذ الأجيال العظيم « احمد لطفى السيد » فالتحق بالجامعة المصرية الأهلية القديمة ، ودرس الأدب العربى دراسة متعمقة ، وكان أول مصرى يحصل على درجة الدكتوراة من تلك الجامعة فى عام ١٩١٤ ، وكان موضوع رسالته « ذكرى أبى العلاء » وهى دراسة ذات منهج كان حديثاً فى ذلك الوقت فى دراسة الآداب والثقافة العربية بصفة عامة، ومازالت حتى الآن تتبوأ المكانة الأولى فى دراسة فلسفة شاعر العربية العظيم « أبو العلاء المعرى » .

● وفى عام ١٩١٨ سافر فى بعثة إلى فرنسا حيث التحق بجامعة

السوربون بباريس ودرس الفلسفة والآداب الانسانية القديمة كما تأثر كثيراً بمناهج وأساليب كبار الأدباء الفرنسيين المعاصرين ، والأدب الفرنسى بصفة عامة . وحصل على درجة الدكتوراة من هذه الجامعة عن كتاب « ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية » وقد كتب هذه الرسالة بالفرنسية ثم ترجمها إلى اللغة العربية الكاتب المصرى الكبير « محمد عبد الله عنان » سنة ١٩٢٥ .

● وعاد إلى مصر حين انشئت الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ حيث عين استاذا بكلية الآداب ثم أصبح عميداً لتلك الكلية . وفى خلال تلك الفترة ألف كثيراً من الكتب الأدبية والفلسفية الشهيرة ، وكتب مئات من المقالات الأدبية والسياسية فى الصحف والمجلات التى كان يصدرها حزب الوفد .

● وعيّن مديراً لجامعة الاسكندرية ، ثم أصبح وزيراً للمعارف حيث عمل على تنفيذ مبدأ « ضرورة التعليم كالماء والهواء » الذى كان ينادى به ، وجعل التعليم الابتدائى والثانوى والفنى مجانيا لأبناء مصر .

● وشغل بالإضافة إلى ذلك عدة مناصب فى مصر وسوريا والعالم العربى بصفة عامة ، فكان عضواً فى المجمع العلمى العربى بدمشق، ورئيسا للجنة الثقافية للجامعة العربية ، ورئيسا لمجمع اللغة العربية فى مصر .

● ويعتبر طه حسين واحداً أكبر رواد حركة التنوير فى مصر الحديثة وامتد تأثيره التنويرى على كافة الشعوب العربية والعارفين بلغة الضاد ، كما ترجمت معظم أعماله وكتبه إلى اللغة الفرنسية وإلى كثير من لغات العالم الأخرى .

● وقد شغف بالأدب اليونانى القديم وبدراسة نظريات الفلاسفة

اليونانيين القدماء خلال فترة شبابه ، فترجم إلى اللغة العربية درراً من هذه الأعمال الأدبية والفلسفية ، لعل أهمها كتاب « نظام الأثنينيين لأرسطو » وكتاب « آلهة اليونان » وكتاب « صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان» وكتاب « قادة الفكر » .

● كما شغف أيضا بدراسة الأدب والشعر العربى والتاريخ الإسلامى وألف فى هذا المجال عديداً من الكتب التى أثار بعضها خواطر التقليديين المتمسكين بالجمود على القديم والرافضين لحرية الفكر طبقا للمناهج الحديثة فى البحث والتحليل . ومن هذه الكتب التى ابدعها طه حسين فى هذا المجال « فى الشعر الجاهلى » و « فى الأدب الجاهلى » و « مع أبى العلاء فى سجنه » و « حديث الأربعاء ـ ثلاثة أجزاء » و « دروس فى التاريخ القديم» و « مع المتنبى » و كتاب عن الشاعرين المصريين العظيمين « حافظ وشوقى » و « مستقبل الثقافة فى مصر » وغير ذلك من كتب أخرى مماثلة .

● أما كتبه التى تناولت التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية بصفة عامة فلعل أهمها كتاب « على هامش السيرة ـ ثلاثة أجزاء » و « الفتنة الكبرى » و « عثمان » و « على وبنوه » ومجموعة أخرى من الدراسات والمقالات التى تناولت التاريخ السياسى والاجتماعى فى صدر الاسلام .

● وألف طه حسين أيضا كثيراً من الروايات الأدبية والقصص القصيرة التى تتناول موضوعات مصرية معاصرة ، أهمها « دعاء الكروان » و « أديب» و « شجرة البؤس » و « الحب الضائع » . كما أن سيرته الذاتية التى دونها فى كتاب « الأيام » تعتبر من روائع السير الذاتية فى الأدب العربى .

● وتتميز جميع كتابات طه حسين بادخال المناهج الحديثة والبعد عن الجمود والتخلف والدعوة إلى حرية فكر الأدباء والنقاد ، والالتزام الشديد بقواعد الصياغة والذوق الرفيع ، والتمسك بالأساليب الفنية والأدبية التى تجمع بين الدقة والبساطة والوضوح وفخامة اللغة العربية .

●● أوسكار وايلد OSCAR WILDE

● ولد فى دبلن بأيرلندا فى ١٦ اكتوبر ١٨٥٤ . ومات فى باريس فى ٣٠ نوفمبر ١٩٠٠ وهو أديب وكاتب مسرحى وشاعر ، وله بحوث ومقالات عدة فى علم الجمال وكان من أشهر من نادوا بنظرية « الفن للفن » Art for Art's sake

● كان أبوه « سير وليم وايلد » عالماً فى جراحة العين والأذن ، وله كتب ودراسات فى « علم الآثار » و « علم الفولكلور » ..وكانت أمه شاعرة وعالمة فى الفولكلور .

● تخرج فى جامعة أوكسفورد عام ١٨٧٨ وحصل على مرتبة الشرف . وخلال دراسته الجامعية ظهرت موهبته وبراعته فى قرض الشعر وحصل على إحدى الجوائز الكبرى ، ونشر عدة قصائد ودواوين .

● فى عام ١٨٨٢ سافر إلى الولايات المتحدة وكندا حيث ألقى عدة محاضرات دعا فيها الأمريكيين إلى حب الجمال والفن . وعاد إلى بريطانيا ليلقى عدة محاضرات عن انطباعاته فى أمريكا .

● وفى عام ١٨٨٤ تزوج « كونستانس لويد » وهى ابنة محام أيرلندى شهير ، وأنجب منها طفلين هما « سيريل » و « فيفيان » فى عامى ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ على التوالى .

● واصل انتاجه الأدبى شعراً ونثراً ، ونشر عدة مقالات ودراسات فى الصحف الشهيرة ، ونشر مجموعة من القصص منها « الأمير السعيد وقصص أخرى » عبّر فيها عن ميوله الرومانسية التى صاغها فى شكل أعمال خيالية .

● نشر روايته الشهيرة « صورة دوريان جراى » سنة ١٨٩١ وحازت شهرة عريضة . وفى نفس العام أيضا كتب مسرحيته التراجيدية « سالومى » باللغة الفرنسية . وقد منعت هذه المسرحية فى البداية لأنها تتضمن شخصيات ورد ذكرها فى الإنجيل ، ثم سُمح بنشرها بعد ذلك بعد ترجمتها إلى الانجليزية عام ١٨٩٤ .

● وفى عام ١٨٩٣ كتب مسرحيته الكوميدية الاجتماعية « امرأة لا أهمية لها» ، وفى عام ١٨٩٥ كتب مسرحية« الزوج المثالى » .

● وجهت إليه بعض التهم الأخلاقية ، ونصحه بعض أصدقائه بالهرب إلى فرنسا ، ولكنه رفض ودافع عن نفسه أمام المحكمة التى أصدرت حكمها عليه بالأشغال الشاقة لمدة عامين . وأطلق سراحه عام ١٨٩٧ وكان مفلساً ، فتوجه إلى فرنسا ليواصل إبداعاته وأعماله الأدبية .

● وفى عام ١٨٩٥ أصيب بمرض فى أذنه أدى إلى التهاب فى خلايا المخ ومات فجأة عام ١٩٠٠ .

●● ريتشارد شتراوس RICHARD STRAUSS

● ولد الموسيقار ريتشارد شتراوس RICHARD STRAUSS فى ميونخ عام ١٨٦٤ . . ومات فى بافاريا عام ١٩٤٩ . . أى انه عاش نحو خمسة وثمانين عاماً . . عاصر خلالها أحداث وتطورات العالم فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . .

● تميز ريتشارد شتراوس بتراكيبه الموسيقية الخاصة التى يجمع فيها بين قواعد الموسيقى الكلاسيكية . . والاتجاهات الفنية للموسيقى الحديثة المعاصرة . .

● وقد استوعب ريتشارد شتراوس الأعمال الموسيقية لمن سبقوه . . وحاول أن يستفيد من كل تجاربهم . . فتأثر بموتسارت . . وليسْت . . وبيرليُوز . . وفاجنر . . وبرامز . .

● وكان أبوه فرانس شتراوس يعمل عازف هُورْنْ فى الأوركسترا الملكى بميونخ . . ويهمنا هنا أن نذكر أنه لا توجد أية علاقة بين عائلة ريتشارد شتراوس وعائلة شتراوس النمساوية من مؤلفى موسيقى الفالس .

● درس ريتشارد شتراوس فن قيادة الأوركسترا فى ميونخ على يد أستاذه هانز فون بولوف Bulow حتى أصبح من أعظم قادة الأوركسترا فى عصره . . وقد صقل تجاربه وتأثر فى فن قيادة الاوركسترا بالكسندر ريترRITTER وفاجنر . .

● قاد أوركسترا ميونخ السيمفونى . . وأوركسترا برلين السيمفونى . . ثم عين قائداً للأوركسترا السيمفونى بأوبرا فيينيا فى الفترة من سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٢٤ . .

● وإلى جانب ذلك . . قام بقيادة الأوركسترات السيمفونية لعزف مؤلفاته فى معظم ـ إن لم يكن فى جميع ـ المراكز الموسيقية فى الدول الأوربية . . وكان يقسّم وقته بين عواصم العالم الموسيقية وبين منتجعه فى جَارْمِيش فى بافاريا . . حيث مات هناك سنة ١٩٤٩ .

● وكانت موهبة ريتشارد شتراوس تتجلى بصفة خاصة فى علم الهارمونى . . ثم فى علم التوزيع الأوركسترالى . . وقد تأثر فى ذلك ببيرليوز . . فطوّر امكانيات الأوركسترا السيمفونى فى أداء الجمل التى تتسم بالحيوية الجارفة المدهشة . .

● أما فى مجال الأوبرا والغنائيات المسرحية . . فقد كانت أعماله تطويراً لما انتهى إليه كل من فاجنر فى أسلوبه الخطابى . . وموتسارت فى أسلوبه العاطفى . . واخترع لنفسه أسلوباً شخصياخاصاً فى تلحين الحواريات الغنائية بطريقة تختلط فيها العاطفة والنعومة بالحماس الخطابى . . واعتبر بهذا واحداً من أساتذة الغناء الحماسى . .

● يمكن تقسيم تاريخه الفنى أو حياته الموسيقية إلى فترتين مستقلين . . رغم ملاحظة بعض التداخل بين هاتين الفترتين . . الفترة الأولى تغطى كل أعماله الموسيقية فى تأليف القصائد السيمفونية . . والفترة الثانية تغطى انتاجه فى تلحين الأوبرات والغنائيات المسرحية .

● ونستطيع أن نجمل انتاجه فى الفترة الأولى بعرض القصائد السيمفونية التى ألفها ريتشارد شتراوس فى تلك الفترة . . وكان أولها القصيد السيمفونى آوس إيتَالِينْ AUS ITALIEN . . وفى هذا القصيد السيمفونى أثبت ريتشارد شتراوس أنه ابن مثالى للمؤلفين الموسيقيين الذين يمثلون الرومانسية . . حيث اعتبر النقاد هذا القصيد السيمفونى وثيقة موسيقية رائعة مبدعة بما تتضمنه من ألحان مبهرة . .

● أما القصيد السيمفونى دون جوان الذى ألفه ريتشارد شتراوس فى سنة ١٨٨٩ فيعتبر « بِرَافُورَا » BRAVURA . . أى لحناً موسيقياً يحتاج إلى براعة الأداء المتسم بالثقة بالنفس والقدرة الفائقة . . ويعبر هذا القصيد عن أعمق الأحاسيس الداخلية لهذا العاشق اللاهى العابث الذى ظل يجرى وراء الحب حتى وقع فى النهاية فى الجحيم . .

● كما يعتبر القصيد السيمفونى الموت والتجلى DEATH AND TRANSFIGURATION من الروائع التى ألفها عام ١٨٩٠ . . حيث عبّر فيه عن رؤياه الذاتية فى المسائل الفلسفية . . وقد ركب شتراوس جمله الموسيقية باحساس دينى عميق ليعبر عن رؤياه لحالة خلاص الروح من أسرها الجسدى عند الموت . .

● وفى سنة ١٨٩٥ كتب ريتشارد شتراوس القصيد السيمفونى تِلْ المِهْزَارْ . . أَوْ « تِلْ أُو يْلِنْ شْبِيجِلْ » TILL EULENSPIEGEL . . معتمداً فيه على نَص أسطورة ترجع إلى القرون الوسطى . . وتدور حول مسافر جوّال كان يدعى « تِلْ المِهْزَار » . . لأنه كان يتصرف بطريقة تخلو من الاحترام

والتوقير وتبيح المزاح والضحك والتهريج . . وقد صور شتراوس بالجمل الموسيقية نصوص الأسطورة وفلسفتها فى معارضة التقاليد البرجوازية والسخرية بها واحتقارها بشتى الطرق . . ورغم ذلك فإن هذا القصيد السيمفونى ملىء وخصب بالألحان التى تبدو ساخرة وشعبية . .

● وفى سنة ١٨٩٦ كتب شتراوس القصيد السيمفونى « هكذا قال زرَادِشْتْ » . . الذى يعتبر ترجمة موسيقية لقصيدة من أشعار الفيلسوف الألمانى نيتشه . . !

● أما القصيد السيمفونى « دون كَيْشُوت » فقد كتبه شتراوس سنة ١٨٩٨ . . وفيه يصوُر المؤلف مثاليات البطل دون كيشوت وأحزانه عندما اكتشف ـ وهو على فراش الموت ـ انه كان واهماً فى كل ما رأى . .

● وفى سنة ١٨٩٩ كتب شتراوس القصيد السيمفونى « حياة بطل »EIN HELDENLEBEN . . وهو عبارة عن فخر شعرى بالفلسفة المثالية . . مترجم إلى لغة موسيقية تزخر بالتفاؤل . . وتفخر بقدرةالانسان على حرية الاختيار . .

● وفى سنة ١٩٠٤ . . كتب شتراوس المؤلَّف الموسيقى المعروف باسم «سيمفونيا دُومِسْتِيكَا » SINFONIA DOMESTICA وهى تعتبر قصيدة شبه جادة وشبه ساخرة مرحة . . تعبر عن سعادة الفرد بوطنه المحلى . .

● وفى سنة ١٩١٥ كتب شتراوس « سيمفونية الآلْب »التى تعتبر وثيقة تسجيلية موسيقية تعبر عن مشاعر رجل يتسلق الجبل . . !

● واختتم ريتشارد شتراوس هذه المرحلة من حياته الفنية ، بالقصيد

السيمفونى الرائع « المسخ أو التحوّل » METAMORPHOSES . . الذى يعتبر من أهم روائعه المكتوبة لأوركسترا الوتريات فى أسلوب يشابه أسلوب باخ على تِيمَةٍ لبيتهوفن . . وفى الوقت نفسه تلوح عليه ظلال من تأثير فاجنر . .

[مرحلة الأعمال الأوبرالية]

● أما المرحلة الفنية الثانية فى حياة المؤلف الموسيقى ريتشاردشتراوس . . فتتضمن العديد من الأعمال المسرحية الغنائية من أوبرات وأوبريتات وغنائيات لقصائد شعرية .

وقد بدأ شتراوس هذا الاتجاه بمحاولتين للتأليف للمسرح الغنائى . . وقد بدا واضحاً فى كل من هاتين المحاولتين الأوليين . . مدى التأثر البالغ بأساليب فاجنر فى التلحين الأوبرالى . . دون أى احساس باسلوب خاص به فى تكوين هذه الألحان . .

● ويمكن القول بأن أول عمل أوبرالى جاد يدخل فى تاريخ شتراوس كأحد مؤلفى الأوبرا فى العالم . . هو قيامه بتلحين أوبرا سالومى سنة ١٩٠٥ . . وهى تراجيديا من فصل واحد . . كتبها الأديب الانجليزى الشهير أوسكار وايلد . . ويهمنا أن نذكر هنا أن نص هذه الأوبرا . . أو ما يقال عنه « لِبْرِيتُّو » LIBRETTO قد كتبه الشاعر الألمانى « هيد فيج لاخمان» ثم ترجم فيها بعد إلى الفرنسية والايطالية والانجليزية والعربية .

والعنصر التراجيدى فى هذه الأوبرا يشمل جميع مشاهدها ويبلغ الذروة إلى حد العنف الشديد والقسوة المتوحشة حين تطلب سالومى رأس يوحنا

المعمدان . . وقد صاغ شتراوس ألحان الحوار وموسيقاه . . بطريقة تبرز هذا الطابع التراجيدى الذى يوسم العمل بأكمله .

● وفى سنة ١٩٠٩ كتب شتراوس أوبرا « إليكترا » ELEKTRA . . وهى أيضا من فصل واحد مثل أوبرا سالومى . . وهى دراما تدور حول جنون الانتقام . . كتب النص الأوبرالى « اللّبْريتُو » هوجر فون هوفمانستال HUGO VON HOFMANNSTHAL اقتباساً من مسرحية سوفوكليس المعروفة .

● وفى سنة ١٩١١ كتب ريتشارد شتراوس أوبرا « الفارس الأحمر » . . وقد كتب النص الأوبرالى الأصلى هوجو فون هوفمانستال أيضا . . فى صيغة كوميديا موسيقية MUSICAL COMEDY . . وتتألف هذه الأوبرا من فصول ثلاثة . . وتعتبر من أهم الأعمال التى تبرز الخصائص الذاتية لأعمال شتراوس الموسيقية بصفة عامة .

● وفى العام التالى . . أى فى عام ١٩١٢ . . كتب شتراوس إحدى روائعة الموسيقية الغنائية الجادة . . وهى أوبرا « آرْيَآدْنْ أُونْ نَاكْسُوس ARIADNE ON NAXOS . . وهى أيضا من فصل واحد يتضمن فى مقدمته بُرُولُوج طويلاً . . عبارة عن قصيدة شعرية يلقيها أحد المغنين قبيل عرض الأحداث . .

ويقول النقاد الموسيقيون أن الألحان التى صاغها ريتشارد شتراوس لهذه الأوبرا- رغم اعتبارها من الموسيقى الحديثة - إلا أن شتراوس قد رجع فيها إلى الصيغ والتعبيرات الموسيقية التى كانت سائدة فى الموسيقى الكلاسيكية

النمساوية خلال القرن الثامن عشر . . وعلى وجه الخصوص قيامه بالمزج المتع بين أصول وقواعد الأوبرا الجادة OPERA SERIA والأوبرا بُوفًّا OPERA BUFFA أو الأوبرا الهزلية . . وهى الأصول والقواعد التى تأصلت فى الغنائيات النمساوية خلال القرن الثامن عشر . .

● أما أوبرا دِى فْرَاوْ أُونى شَاتِنْ DIE FRAU OHNE SCHAT-TEN . . أو أوبرا « امرأة بلا ظلال » فقد كتبها شتراوس فى عام ١٩١٩ عن نص أوبرالى « لبريتو » كتبه هوجو فون هوفمانستال من ثلاثة فصول . . اقتباساً من أسطورة فارسية . .

● وفى سنة ١٩٢٤ كتب شتراوس أوبرا بعنوان «إنْتَرْمِتْسُو» INTERMEZZO . . وتتكون من فصلين اثنين . . وقد قال النقاد عنها انها عمل مما يطلق عليه «الكوميديا البورجوازية » أو أوبرا «نصف كم » OPERA IN SHORT SLEEVES نظراً لخفة ظل الحوار الذى كتبه شتراوس نفسه . . والذى يدور حول الحياة العائلية لزوجين من الطبقة البورجوازية . وقد انعكست خفة الظل هذه من جمل الحوار إلى صياغة الجمل الموسيقية والألحان التى تمتلىء بالحيوية والخفة المصاغة فى براعة فنية فائقة . .

● ومرت حوالى إحدى عشر سنة قبل أن يكتب شتراوس أوبراه . . دِى شْفَا يجْزَامِى فْرَاوْ DIE SCHWEIGSAME FRAU . . أو « المرأة الصامتة» فى عام ١٩٣٥ . . وهى نوع من الأوبرا كوميك . . وتتكون من ثلاثة فصول استوحاها ستِيفَان شْفَايج STEFAN ZWEIG من مسرحية

كوميدية كتبها بِنْ جونسون BEN JOHNSON وقد تناول شتراوس صياغة ألحان هذه الأوبرا متأثراً بقوالب الكوميديا دِى لآرتى COMMEDIA DELL'ARTE والأوبرا بُوفاً OPERA BUFFAأَو الأوبرا الهزلية . .

● وفى سنة ١٩٤٢ كتب ريتشارد شتراوس آخر اعماله الأوبرالية . . وهى أوبرا كَابْرِيشْيُو CAPRICCIO أو « النزوة » . . وكتب لها عنوانا فرعيا آخر هو « محاورة موسيقية » وتتكون من فصل واحد طويل ذى طابع كوميدى . .

●● جاك لندن JACK LONDON

● كاتب وأديب أمريكى ولد فى مدينة سان فرانسسكو سنة ١٨٧٦ ومات سنة ١٩١٦ . وبالرغم من قصر عمره إلا أنه عاش حياة حافلة وترك تراثاً هائلاً من الأعمال الأدبية والصحفية حققت له شهرة واسعة بين ملايين القراء الذين كانوا يتلهفون على هذه الأعمال والحرص على قراءتها .

● عانى جاك لندن من شدة الفقر فى بداية حياته ، فقد كان أبوه « وليم تشانى » مدرساً فاشلاً للموسيقى وعرّافاً متجولاً يقرأ البخت لبسطاء الناس . وقد مات هذا الأب حين كان جاك طفلاً صغيراً ، فتزوجت أمه من تاجر فاشل اسمه « جون لندن » وهو الاسم الذى تسمى به « جاك » بدلاًمن اسم أبيه الحقيقى « وليم تشانى » .

● وعاش جاك فترتى الطفولة والصبا فى بؤس مقيم وشقاء مستمر ، حيث عمل بائعاً للجرائد ، ثم التحق بالعمل فى أحد المصانع الصغيرة لتعليب الأغذية . وقد أتاحت له مهنة بيع الجرائد والمجلات فرصة الاطلاع على ما كانت تحتويه من مقالات وموضوعات ، وفجرت فيه طاقة هائلة للانكباب على قراءة قصص المغامرات والموضوعات المثيرة ، وبدأ يتردد على المكتبات العامة ليستعير الكتب التى تتضمن مثل هذه الموضوعات ، كما بدأ يلتهم ما تحتويه الكتب الفلسفية الجادة كمؤلفات «هربرت سبنسر» و « نيتشه » و « كارل ماركس » وغيرهم .

● وفى سن السابعة سنحت له الظروف بالقيام برحلة بحرية فى شمال المحيط الباسيفيك « الهادى » تجول فيها فى بعض الولايات الشمالية بكندا . وأتاحت له هذه التجربة أن يتعرف على طبيعة الحياة فى تلك الأصقاع الجليدية الشمالية ، وشاهد بعض مظاهر وسلوكيات الحياة التى كان يعيشها المغامرون الباحثون عن الذهب .

● وبعد عودته من تلك الرحلة التحق بجامعة كاليفورنيا ولكنه لم يستمر فى الدراسة سوى عام واحد عاودته فيه ذكرياته عن مشاهداته فى الأصقاع الشمالية وطبيعة الحياة البدائية فى تلك المناطق ، فاشتعل خياله الأدبى وبدأ فى كتابة بعض القصص المثيرة ونشرها فى بعض الصحف ثم جمعها فى أول كتاب له وكان عنوانه « ابن الذئب » وقد حاز هذا الكتاب استحسانا وشهرة واسعة فى أمريكا وبين قراء الانجليزية فى مختلف أنحاء العالم .

● أتاح له هذا النجاح أن يشق طريقه إلى الصحافة ، فكتب مئات من القصص والمقالات والموضوعات المثيرة التى كان يتهلف عليها القراء . . كما أتاح له فرصة واسعة فى نشر الكتب التى بلغ عددها نحو خمسين كتاباً بالرغم من حياته القصيرة التى لم تتجاوز أربعين عاماً .

● وقد تنوعت موضوعات كتبه بين مجموعات القصص القصيرة والروايات والمسرحيات والحكايات والمقالات المتنوعة .

● وفى تلك الكتب عرض « جاك لندن » فلسفته وقدرته الفائقة على التحليل النفسى ، كما استعرض معلوماته فى صورة خيالات جامحة عن الحياة البدائية لكل من الانسان والحيوان ، بل استغل دراسته لتصرفات

بعض الحيوانات فى تحليل بعض التصرفات والسلوكيات البدائية التى ورثها الانسان المعاصر عن أسلافه الأقدمين . ومن أشهر هذه الكتب رواية « قبل آدم » وهى رواية خيالية عن حياة الانسان البدائى فى عصور ما قبل التاريخ، ورواية « الناب الأبيض » ورواية « نداء البرارى » .

●● جيروم ك . جيروم GEROME K. GEROME

● ولد عام ١٨٥٩ ومات عام ١٩٢٧ ، وهو كاتب وأديب انجليزى قليل الانتاج ، ومع ذلك فقد حازت المؤلفات القليلة التى تركها شهرة واسعة بالنظر إلى ما تتميز به من روح الفكاهة والأسلوب الساخر الجذاب .

● وقد احترف « جيروم ك . جيروم » الكتابة الأدبية بعد أن تقدم به العمر . . وكان من قبل يعمل صرّافاً فى أحد البنوك ، ثم عمل مديراً لإحدى المدارس ، ثم احترف فن التمثيل وشارك فى عدة مسرحيات كوميدية .

● أما روايته « ثلاثة رجال فى قارب » فقد ظهرت لأول مرة منذ أكثر من مائة سنة ، وعلى وجه التحديد فى عام ١٨٨٩ . وحققت له شهرة واسعة ككاتب فكاهى خفيف الظل ، مما شجعه على إصدار كتاب آخر بعنوان «أفكار تافهةلشخص تافه » كما كتب مسرحية كوميدية بعنوان « المرور بالطابق الثالث مرة أخرى » . وتدور هذه الأعمال كلها حول مواقف وأحداث طريفة وشخصيات تتميز بخفة الدم والفكاهة والسخريةغير المبتذلة .

●● وليم شيكسبير WILLIAM SHAKESPEARE

● من أعظم الأدباء والشعراء وكتّاب المسرح الانجليز ، تم تعميده كطفل فى ٢٦ أبريل ١٥٦٤ بكنيسة البلدة التى ولد فيها وهى « ستراتفورد أبون آفون » بانجلترا . . ومات بنفس البلدة فى ٢٣ أبريل ١٦١٦ .

● كان أبوه قد نزح إلى تلك البلدة قادمًا من قرية سنترفيلد سعيًا وراء الرزق حيث مارس العمل فى الزراعة وعاش حياة بسيطة وفقيرة .

● التحق وليم شيكسبير بالمدرسة الابتدائية بالقرية حيث درس مبادىء اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية ، وهى الدراسة التى مكّنته فيها بعد من التعمق فى قراءة كتب التاريخ والأدب الكلاسيكى .

● ولم يتمكن من مواصلة دراسته بسبب اضطراره إلى العمل لمساعدة والده . وعندما بلغ سن الثامنة عشرة تزوج من فتاة قروية من نفس البلدة ، وهى « آن هاثاواى » التى أنجبت له ابنته سوزانا وتوأمين هما هَامْنِتْ وجوديث .

● ولأنه كان يهوى التمثيل بالإضافة إلى كتابة الشعر فقد انتقل إلى لندن سنة ١٥٨٤حيث التحق بأشهر الفرق المسرحية وكتب بعض المسرحيات ونشر أول أعماله الشعرية « فينوس وأدونيس » عام ١٥٩٣ ، وحقق نجاحًا

كبيرًا واستطاع أن يسدد جميع ديونه ويتمتع بفائض يمكنه من الارتفاع بمستوى حياته .

● بعد النجاح الذى حققه فى لندن عاد إلى بلدته الريفية « ستراتفورد أبون آفون » وواصل تأليف القصائد الشعرية [حيث اعتبره نقاد ومؤرخو الأدب أنه الشاعر القومى للانجليز] .. كما واصل كتابة المسرحيات الكوميدية والتاريخية والتراجيدية « المأساوية » التى تظهر فيها عبقريته وقدرته الأدبية الفائقة على تحليل النفس البشرية والتصرفات والمواقف الانسانية ، وقدرته المتميزة على الموازنة بين المواقف الضاحكة والمواقف المأساوية المحزنة فى حياة البشر .

● ترجع أولى المسرحيات التى كتبها إلى فترة التسعينيات من القرن السادس عشر ، بدءًا بالمسرحيات الكوميدية مثل « ترويض الشرسة » التى كتبها سنة ١٥٩٣ / ١٥٩٤ والمسرحيات التاريخية التى يتناول فيها حياة بعض الملوك الانجليز مثل مسرحية « هنرى السادس » التى كتبها سنة ١٥٩٢ .. ومسرحية « ريتشارد الثالث » سنة ١٥٩٢ / ١٥٩٣ .. والمسرحيات التراجيدية مثل « روميو وجولييت » سنة ١٥٩٤ / ١٥٩٥ .. وتدل هذه المسرحيات التى كتبها شيكسبير فى بداية حياته الأدبية على تمكنه من القدرة على تطويع اللغة الانجليزية للتعبير بها عن الأحداث والشخصيات فى ضوء المنهج الذى ابتدعه فى التعبير الدرامى .

● أما المسرحيات والأعمال الدرامية التى كتبها شيكسبير فى المرحلة الوسطى من حياته الأدبية فبعضها من الأعمال الكوميدية وبعضها الآخر من

الأعمال التاريخية التى تناول فيها موقف أبطاله من الملوك الانجليز والشخصيات الكبرى من غير الانجليز ومن الأحداث التاريخية التى عاصروها . وأهم هذه المسرحيات « تاجر البندقية » التى كتبها سنة ١٥٩٦/١٥٩٧ . . ومسرحية « ضجيج بلا طحن » سنة ١٥٩٨ / ١٥٩٩ . . ومسرحية « هنرى الرابع » سنة ١٥٩٨ / ١٥٩٩ . . ومسرحية « يوليوس قيصر » سنة ١٥٩٩ / ١٦٠٠ .

● ومع بداية القرن السابع عشر ، كتب شيكسبير أعظم مسرحياته التراجيدية مثل مسرحية « هاملت » التى كتبها سنة ١٦٠٠ / ١٦٠١ . . ومسرحية « عطيل » سنة ١٦٠٤ / ١٦٠٥ . . ومسرحية « الملك لير » سنة ١٦٠٥ / ١٦٠٦ . . ومسرحية « ماكبث » سنة ١٦٠٥ / ١٦٠٦ .

● أما المسرحيات التى كتبها فى المرحلة الأخيرة من حياته الأدبية فتتنوع ما بين الأعمال الرومانسية والكوميدية والمأساوية مثل مسرحية « حكاية شتاء» التى كتبها سنة ١٦١٠ / ١٦١١ . . ومسرحية « العاصفة » سنة ١٦١١ / ١٦١٢ . .

● وما زالت أعمال شيكسبير تحوز إعجاب الناس فى معظم أنحاء العالم، وترجمت إلى عشرات من اللغات ، وما زالت تلقى هذا القبول والنجاح حتى الآن ، سواء بنشرها ككتب مقروءة أو بتقديمها على خشبة المسرح الدرامى والغنائى والراقص « الباليه » أو بإخراجها فى أفلام سينمائية ذات شهرة عالمية .

الفهـرس